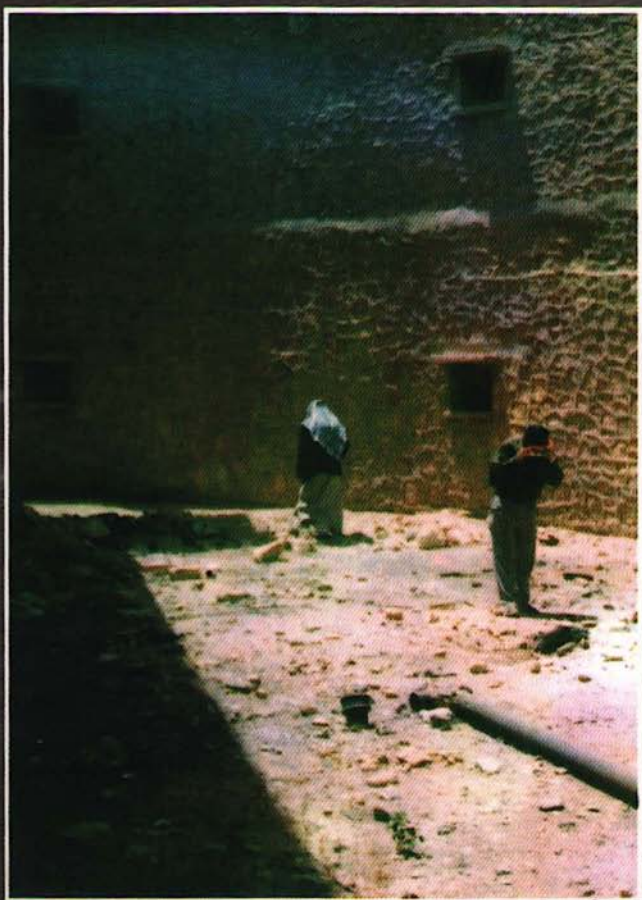


لطيف فاتح فرج
ترجمة: يوسف زهنگه نه

من نقرة السلطان الى الموت



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.forumarabia.com

من نقرة السلمان إلى الموت

لطيف فاتح فرج
ترجمة: يوسف زهنگه نه

اسم الكتاب: من نقرة السلطان إلى الموت

اسم المؤلف: لطيف فاتح فرج

اسم المترجم: يوسف زهنگنه

تصميم: جمال حسين

الطبعة الثانية: كوردستان - سليمانية

مطبعة دار سرود للطباعة والنشر

عدد النسخ: ٥٠٠

رقم الايداع: ٤٧١ لسنة ٢٠٠٧

سعر النسخة: ١٠٠٠ دينار

www.sardamco.com

من نقرة السلمان إلى الموت

لطيف فاتح فرج

ترجمة: يوسف زهنگه نه

سلسلة كتب سردهم العربي
العدد ١٠

المشرف العام على السلسلة
نوزاد احمد اسود

إهداء المترجم

- ♦ إلى كل عربي يتفهم القضية الكردية.
- ♦ إلى أبنائي سمير، أمير، هيمان.
- ♦ إلى زوجتي التي وفقت في جانبي عند أحلك الظروف.

وأخيراً إلى كل من يكتب حرفاً للمؤنفلين.

تمهيد

لا أدري من أين أبدا؟ وكيف أبدا؟ حيث هذه الأرض المدودة ليس فيها مكان يقف عليه إنسان. لأن كل شبر من تراب هذا الوطن يحتوي رفاة إنسان من هذا البلد أعدم وقتل ودفن من قبل صدام وجلاوزته، فقصص المقابر الجماعية في العراق تذكرني برباعيات (خيام) الشعرية، حيث يقول (كل المزهريات مصنوعة من أشلاء وعظام البشر).

الحديث عن صدام وحزبه (حزب البعث) وشعارات وهتافات البعث. وعن حروب صدام الخارجية والداخلية ضد شعبه، وحول العالم المحيط به وعن المجازر والمقابر الجماعية.... الخ

كل هذا يحتاج إلى وقت طويل وهنا لا أريد الخوض في تفاصيل هذه المواضيع. ويجب أن لا ننسى أن الذي وراء صدام وجرائمه هو حزب البعث العربي الاشتراكي ووراء هذا الحزب المئات بل الألوف من المجرمين الصغار والكبار ساهم كل واحد من هؤلاء بشكل أو بآخر في المجازر والمقابر الجماعية.

في الحقيقة يجب أن نعرف بأن صدام أربنا. وعدا صدام هنالك العديد من الأسماء التي تربنا وتخفيننا. فالعراقيون يتخوفون منها على مر المئات من السنين القادمة على أن هؤلاء بشر مفترسون وهؤلاء سيبقون في ذاكرة العراقيين كوحوش زمانهم وسيدخلون سجلات التاريخ السوداء بسبب إجرامهم الوحشي.. ونستطيع لمئات السنين القادمة أن نضرب الأمثال لأجيالنا على وحشية (علي حسن المجيد) الملقب بـ(علي الكيماوي).

لطيف فاتح فرج

لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية للضحايا الكرد

بعد سقوط نظام البعث مباشرة بادرت حكومة اقليم كردستان بتشكيل لجنتين للبحث والعثور على المقابر الجماعية والتعرف اليها وتم تكليفي مع اثنين من اصدقائي بالبحث في الجنوب.

وبعد جلسة أو جلسيتين مع الدكتور (برهم احمد صالح) والاخ (صلاح رشيد) انطلقنا نحو الجنوب.

وبحكم عملي كصحفي اسعدت جدا بهذا الشرف كي أستطيع في المستقبل تدوين الوثائق والتقاط الصور وتقديمها للقراء، هذا من جهة. ولكني تأثرت وحرزنت كثيراً في نفس الوقت لأننا نبحث عن رفاة المؤنفلين الذين مازالت عوائلهم تنتظر عودتهم بشوق.. فإذا عدنا ماذا نقول لأمهات المؤنفلين؟ نقول هذا رفاة وعظام أبائناكن؟ كيف نستطيع ان نسلب حق الإنتظار منهم؟ ونقول لهم لا تنتظرن وعلى طول السنوات الماضية لم تستطع أية جهة ان تقول لهم ذلك صراحة.

كل هذه الجروح والآلام عاشت معي طول رحلتي وقد عشت قبل هذا عشر سنوات بين ظهراني عوائل المؤنفلين. واملعت عن كتب على معاناتهم في الوقت الذي كنت فيه أستطيع العيش في مدينة السليمانية وامارس مهامي الصحفية.. وكمن مرة دعيت إلى ذلك ولكني اخترت العيش مع هذه العوائل.. فتعايشت مع جروحهم وآلامهم في الإنتظار واخيراً لم يجنوا من الإنتظار سوى الدموع.

تألفت لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية من (منصور محمد كريم) المدير العام في وزارة حقوق الإنسان والمرحليين والمؤنفلين و (آريان محمد علي) الحقوقي في الوزارة و (صمد زمنگهه) من مكتب حقوق الإنسان وأنا كصحفي.

بدأت رحلتنا في نهاية شهر آيار، وقبلها سافرت مرتين إلى بغداد بعد سقوط (صدام).

الأولى كانت في (٢٠٠٣/٤/١٧) أي بعد ثمانية أيام من سقوط الصنم وكانت الغاية من الرحلة مشاهدة آثار الحرب الأخيرة وما سببته من دمار على العراق وكرحلة صحفية. وفي ذلك قد أكون أول صحفي زرت بغداد من اقليم كردستان.

رأيت بغداد وكأنها معسكر كبير مملوء بالاعتدة والأسلحة والمدركات والدبابات، تجد هذه الأشياء في كل أزقة بغداد تقريباً.. والفوضى تعم العاصمة.. والسنة الدخان تتصاعد من الوزارات والمؤسسات وتتطاير في الهواء.

ورحلي الثانية إلى بغداد كانت في نهاية ذلك الشهر مع عدد من نساء المؤنفلين وعوائلهم. وضمت هذه الزيارة، وفود السليمانية وهوليير وجمجمال وكركوك وضم الجميع عدد من الباصات التي تقل الواحدة منها (٤٨) فرداً وصلنا بغداد.. ونزلنا في ساحة التحرير مع عدد هائل من نساء المؤنفلين.. اللواتي يردن إيصال صوتهن إلى كل الدنيا وفي تلك الأثناء كانت بغداد تعج بالقيادات والمسؤولين الكرد وهناك رؤساء كرد.. ولكن لم يستقبل أحد من أولئك. هؤلاء النساء اليائسات المتشحات بالسواد الكامل.. لم يلق أحد من المسؤولين التحية عليهن.. فصار (كارنر) كالطائر العنقاء ولم يستطع أحد الإمساك به فنساء الكرد كن يحملن صور ضحاياهن على صدورهن. وتعجن بالبكاء وتذرفن الدموع.. والكاميرات تصورهن من كل حذب وصوب. والقيادة الكردية لم تكن هناك في الوقت الذي كان يدور كل أحاديثهم حول كوارث الأنفال وضحايا الجريمة.

قدمت فرقة (نالي) القادمة من (هولي) إستعراضين متواضعين وجمعية الفنون الجميلة التي جاءت من "جمجمال" كانت تأمل في القيام باستعراض ولكنها عندما رأت عدم حضور ولو مسؤول كردي واحد من المتواجدين في بغداد وأحسوا بغربة هناك، تخلوا عن أداء العرض، وقام عدد من الفنانين بعرض عدة لوحات فنية للصحفيين تتعلق بالكارثة.. فكان هذا كل كلامنا في بغداد عن كارثة الأنفال.

وشاركنا في هذه الرحلة الطالب (دلير علي كرم) وكان يولي القضية اهتماماً بالغاً.. سأحدث عنه في الصفحات القادمة "رحمه الله" كان حينها طالباً في الصف السادس الإعدادي.

سافرت قبل هذه الرحلة إلى بغداد مرتين.. ولكن رحلتنا هذه كانت منظّمة وفترتها أطول من الرحلتين اللتين سبقتا هذه الرحلة.

توجهت لجنتنا إلى بغداد على أمل الحصول على وثائق وشواهد وأوراق ومستمسكات تدين المجرمين ومن ثم السفر نحو الجنوب..

في أول لحظة دخولنا العاصمة (بغداد) قابلنا عضو مكتب سياسي وهو مسؤول كبير فنظر بإهمال إلى مهمتنا وقال لنا: (أنتم مجانين ليس إلا).

وحينما سمعنا هذه الكلمات من ذلك المسؤول ازددنا تصميماً وعزماً على أداء مهمتنا. ولم ننكسر أو نتخاذل عن أداء الواجب وقتلنا لا نحتاج إلى مساعدة أحد، سوى أولئك الشهود الذين يعرفون أماكن المقابر الجماعية من سكان الجنوب.

ومن هنا أريد أن أذكر للتأريخ دور الدكتور (برهم صالح) و(صلاح رشيد) حيث قدما لنا كل أنواع العون... وكانا يقولان لنا (إن هؤلاء المُنْظِلين هم عوائلنا وبما أنهم من كردستان فهم إخواننا).

وانتم ترون الفرق بين هذين القياديين في الرأي... فمنهم من (ياكل الخبز والبصل بالقضية) كما يقول المثل الكردي.... ومنهم من له موقف الدكتور برهم وصلاح رشيد، أما نحن في اللجنة فأصررنا على مواصلة العمل.

البحث عن الأحية

كانت خطوتنا الأولى نحو (الحيدرية) (خان نص) بين النجف وكربلاء... اجتمع في ذلك المكان اغلب شيعة العراق الذين قدموا للتنقيب عن شهدائهم وكانوا يستريحون حول (مركز الخان) ويسمونه (خان ربيع) ايضاً.

سكان المنطقة هادئون ويشغلون غالباً بأمور الحياة اليومية. وقد ظلمهم نظام صدام كثيراً، وظهرت في هذه المنطقة مقاومة عنيفة وواسعة لكن صدام محاهم.

عانى الشيعة على العموم كثيراً من ظلم البعث على الرغم من أنهم يمثلون الأغلبية في العراق، (٥٥%) من سكان العراق، مع ذلك نادراً ما تسلم الشيعة مناصب مهمة في الدولة العراقية فلحين سقط صدام تبدل رئيس الوزراء أكثر من (٧٢) مرة كان نصيب الشيعة (٥) مرات فقط وهؤلاء الخمسة شكلوا الحكومة (٦) مرات فقط.

ويجب ان لا ننسى أنه خلال (٢٥) سنة على تكوين دولة العراق... شكل الشيعة الحكومة في عهد (صالح جبر) سنة ١٩٤٧ مرة واحدة ومن سنة ١٩٥٨ إلى سقوط صدام شكل شيعة الحكومة مرة واحدة وهو(ناجي طالب) في ٦/آب سنة ١٩٦٦م.

ومن هنا ندرك مدى مظلومية الشيعة على الرغم من أن شيعة العراق يتباهون بعراقيتهم ولكن هذا لا يكفي ولا يمنع بأن يتعرضوا إلى حملات إبادة جماعية وقتل وتشريد واعتقال، فكنا نرى اعتقالهم وسجنهم في زنانات النظام بحجة وتهمة التشيع والإيرانية .

ولزيادة المعلومات حول مظلومية الشيعة يمكن للقارئ الكريم أن يراجع الكتب التاريخية في هذا المجال مثل كتاب الدكتور (حسين الشهرستاني): (الهروب إلى الحرية)، وهو افضل شاهد على أهوالنا.

الشيعة يؤكدون دوماً على أن هناك طائفتين مظلومتين في العراق هما (الکرد والشيعية) وهؤلاء يمثلون ثلاثة أرباع سكان العراق والشيعية يتعاطفون مع الكرد ويحبونهم، فقد اتضحت لنا هذه الحقيقة أثناء رحلتنا هذه ويمكن أن يكون السبب في إرسال الكرد ليقتلوا ويدفنوا في الجنوب. هو لمحو القومية الكردية من جهة وتخويف وترهيب الشيعة. وهذه هي الحقيقة.

قبل ذهابنا إلى الحيدرية مررنا بكربلاء وهناك زرنا (جمعية حقوق الإنسان في العراق/ فرع كربلاء)، حيث مجموعة منشغلة بأعمال ونشاطات الجمعية وبعد ذلك تغير اسم الجمعية إلى (مراقبة حقوق الإنسان) ومن أولئك العاملين في الجمعية (وصفي كناني ومهند كناني وآخرون) ومهند هو المسؤول عن المنظمة وهو رجل هادئ يدرك مسؤوليات مهنته جيداً.

كان يساعد المواطنين كثيراً وهم منشغلون كثيراً بحقوق الإنسان، وقاموا بتأسيس عدة لجان أخرى وكانوا يعرفون مكان (٢٩) مقبرة جماعية بالقرب من الحدود. واحدى تلك المقابر عائدة (للکرد) ويجب علينا زيارة تلك المقبرة، وهذه القبور الجماعية تمت معرفة مكانها بمساعدة سكان المنطقة، فأخبروا الجهات المعنية عنها، وهؤلاء المواطنون أعلمونا بمقابر الكرد.

وبعد استراحة قصيرة اتجهنا سوياً نحو الحيدرية. والحيدرية تبعد حوالي ٨٠ كم عن كربلاء نحو النجف، والناحية تقع بين النجف وكربلاء.

وتلك المنطقة التي توجد فيها رفاة الكرد تسمى (المزارع - الخط الثالث). وأثناء خروجنا من الناحية برفقة عدد من الشهود على المقابر الجماعية وهم كل من (عباس عاصي وكريم عطية وعلي عبدالأمير) وفي الطريق وداخل سيارة (الكيما) كانوا يتحدثون عن تلك الأيام التي نفذت فيها حملات الأنفال والاعدامات وتم قتل الضحايا وكانوا يسمعون عويل وبكاء هؤلاء الكرد. وهتافات (الله أكبر) وصيحاتهم. وسماعهم أصوات العيارات النارية لعفالة النظام.

واعطانا (كريم) في شدة ثلاث ساعات ومحفظة جيب (جزدان) وعدداً من «هويات

الأحوال المدنية» تعود للضحايا وللأسف الصور والكتابات المدونة على الهويات كانت ممسوحة كلياً، ولكن سعدنا بوجود معلومة (عدد المحافظة) على الهوية. والساعات كانت متوقفة وعاطلة في هذه الأوقات ٢٠٩. الثانية وتسع دقائق، وكذلك ١٠٠٥ العاشرة وخمس دقائق، وكذلك ٨٠٥ الثامنة وخمس دقائق. وكانت نوعية الساعات وماركاتها هي ساعات (الأورينت) وفي الصفحات القادمة نتحدث عن تلك الساعات، وعند وصولنا المكان وجدنا (جمعية حقوق الإنسان/ فرع كربلاء) قد خطت بخط واضح على لوحة معدنية الآتي (المقبرة تعود لأبناء شعبنا الكردي العزيز . بأشراف منظمة حقوق الإنسان . فرع كربلاء . الحيدرية . يحرم الدخول إليها) .

وعند قراءتي لهذه اللوحة، انتابني موجة حارة وقوية من البكاء وبغزارة ، لا أدري في تلك اللحظة التي رأيت فيها رفاة ضحايا الكرد الغرباء تحت رمال الصحراء تذكرت تلك اللوحة التي رسمتها عن الصحراء وهي عبارة عن قصة المؤنفلين في الصحراء وهي رفاة الكرد وفوقها وردة النرجس وهذه هي تلك الصورة اراها مجدداً... تماكنت نفسي كى لا اظهر ضعيفاً في هذا الموقف المختلط بالبكاء والبكاء ليس من شيم الرجال كما يقال ويعني الضعف أحياناً، وفي اعتقادي هنا الرجال مظلومون لأن الآخرين لا يتركون الرجل يبكي براحتة وينفث أحزانه العميقة ودموعه المنحصرة.

في الصحراء ومع أخوتنا العرب الذين تجمعوا حولنا.. قرأنا سورة الفاتحة على روح الضحايا ثم اجتمعنا إلى أحاديث هؤلاء المتجمعين. فسرّدوا لنا روايات واقعية حيث قال (محمد عبدالواحد جوهر) حينما كنت راعياً في المنطقة رأيت ثلاث سيارات كبيرة وعدة سيارات صغيرة جاءت إلى هذا المكان. وقبلها بأيام رأيت عدة شغلات قامت بحفر عدة حفر، ثم سمعت إطلاقاً عيارات نارية فتحققت منها فتأكدت بأنها إطلاقاً إعدام أبرياء.

يبلغ عرض المقبرة الجماعية ٢٠ متراً وطولها ٦٠ متراً ... وفي متر مربع واحد من المقبرة تتواجد رفاة وعظام ١٢ ضحية تم إخراجها .

هذه أول رحلة لنا إلى الجنوب وهذه أول مقبرة جماعية ذهبنا إليها في الجنوب،

وقبلنا كانت لجنة حقوق الإنسان برفقة السيد (سعدون فيلي) نائب وزير حقوق الإنسان والرحلين والمؤنفلين قد زارت (الشنافية) حيث مقبرة جماعية أخرى أكبر من هذه المقبرة. فكان عدد الضحايا داخل المقبرة يبلغ الآلاف.

الجنوب مناطق مدمرة

لم يترك نظام البعث في كل مناطق الجنوب سوى الخراب .
الخراب داخل المدن الكبيرة الخراب في الأزقة والشوارع الرئيسية وفي (الكورنيشات)
فأجمل المحلات والدكاكين تجري من أمامها مجاري المياه فتمحوا كل ما هو جميل.
هذا المظهر يتكرر في جميع المحافظات في البصرة والناصرية والسماوة وكربلاء ،
تعمد البعث عدم تطوير تلك المناطق. وكما هو معلوم كانت القيادة السياسية العراقية
خالية أو نادراً ما نجد فيها قيادياً من كردستان والجنوب . وقام النظام بتصفية كل
اولئك ومن تبقى فهم جواسيس البعث وازلامه.

كانت سياسة النظام تهدف إلى تهيش تلك المناطق من العطاءات وحملات الاعمار
والجميع يعلم أن هموم البعثيين كانت شراء الدبابات قبل بناء مدرسة.
وكان تكفي تلك المحافظات الأموال التي تصرف على التماثيل والصور الصدامية
كي تزدهر وترتقي.

وهذا الاهمال المتعمد أشعر المواطن الجنوبي باليأس التام .
ونحن في الجنوب لم نشاهد أي مَعْلَم للجمال سوى جمال فتيات الجنوب.
لذلك فإن سكان مدن «البصرة والسماوة والناصرية» لم يهتموا ببناء وتجميل
مساكنهم وكذلك لم يفكروا حتى في إقامة حديقة وزراعتها بالزهور لينعموا بروائحها
الزكية.

كان الجنوب في عهد النظام عبارة عن معسكر كبير لا يحتاج إلى حدائق و زهور...
ولا تندھشوا أو تتعجبوا لو قلت لكم ان في كل محافظات الجنوب لا توجد حدائق
بعدد حدائق مدينة السليمانية وحدها (وقت كتابة هذا الموضوع صيف ٢٠٠٢)، وبديل
كل حديقة بنى البعثيون هناك معسكراً.

معسكر مليء بالعتاد والأسلحة والمدافع، مليء بالظلم والقمع والارهاب والعذاب.

ومناظر المعسكرات تذكرنا بجبروت البعث ونحن حينما نقول الجنوب عبارة عن معسكر كبير ومهجور. فنذكر لذلك مثلاً مدينة كابلصرة.. فبالقرب من موانئ المدينة وشواطئها تشاهد المياه الآسنة وجريان مجاري البيوت وترى أكوام القمامة فتفقد المدينة كل جمالها ولا ترى رمزاً للجمال. وتعتبر أكوام القمامة مركزاً مهماً للفئران والجربان والقطط، وبسبب قربها من الفنادق والمطاعم . فترى أكوام الذباب والصراصير بالقرب من تلك الفنادق والمطاعم .

فالجانب عبارة عن خراب في خراب وتشعر بخوف شديد في بعض الأماكن والأزقة لأن على مدى النظر لا ترى إلا خراباً وفراغاً .

ونجح البعث في جعل المنطقة يابسة فاحلة كي يستطيع السيطرة عليها.. واستطاع النظام أن يعرف إیرادات كل منطقة ويضعها تحت سيطرته.. كان النظام يستطيع توزيع الثروة بالتساوي على كل محافظات العراق ويجعل من العراق أجمل دولة على الصعيد العالمي بسبب تواجد النفط والمعادن ووجود الأماكن المقدسة والمناطق السياحية والزراعية... الخ

ببساطة كنا نستطيع أن نجعل بلادنا أجمل بلدان العالم لو لا سيطرة البعث على دفة الحكم في العراق .

ونرى في هذا الجنوب الواسع والكريم بدل كل شيء جميل هناك مقبرة جماعية . مقابر جماعية للکرد مقابر جماعية للجنوب خصوصاً ضحايا إنتفاضة سنة ١٩٩١ وهناك الناس دائماً يتحدثون عن المقابر الجماعية ويقولون: تحت ذلك التمثال مقبرة وتحت ذلك القصر مقبرة.. ففي كل مكان يمكن أن تتوقع مقبرة جماعية. فمثلاً أمام مبنى كلية الإدارة والإقتصاد مقبرة جماعية أحاطها البريطانيون بالحواجز... وترى أمهات الضحايا خلف الحواجز الحمراء يبكين بحرقة على ضحاياهم.

وهناك مقابر جماعية في داخل ثاني أكبر مدينة والناس لا يعلمون بها فيرمون القمامة والأوساخ في مكان المقبرة الجماعية.

ومن الواضح ان اغلب القيادات البعثية هي همجية قادمة من مناطق نائية بعيدة عن المدينة... فهم لا يفكرون إلا بعقلية متخلفة ويعملون بنفس العقلية.

فترى مثلاً مدينة مثل (تكريت) بعدما كانت منطقة نائية كقرية تحولت مباشرة إلى محافظة كبيرة على حساب المحافظة الأصلية.

وهذا التفكير القبلي موجود باستمرار. فمثلاً رئيس القبيلة لا يسمح لأي شخص في القبيلة أن يشيد داراً أكبر من داره. وكذلك الحال مع صدام.

وهناك الكثير من الذين يروون لنا كيف كانت العوجة تعج وتزدحم بالمواد الغذائية الجديدة وبأسعار زهيدة في ظل الحصار مقارنةً ببقية محافظات العراق ولا يسمح لعراقي بأخراج شيء إلى منطقة أخرى .

ويقول رجل دين شيعي (إنها لكارثة كبرى أن تحكم قرية مثل العوجة العراق ... العراق بهذا التاريخ العظيم وبكل هؤلاء العلماء والحكماء)

ويقول رجل الدين نفسه (ولو كانت قرية عدلة بدل عوجة لكانت أفضل)

منذ سنة ١٩٦٣ إلى سنة ٢٠٠٣ أكثر من (٢٠) شخصاً من مدينة تكريت سيطروا على أغلب مناصب الدولة .

ولم يتسلم شخص واحد من كردستان أو الجنوب على مدى أربعين سنة من حكم البعث منصباً مرموقاً .. سوى (١٠) مناصب قريبة من السلطة . ولحو كل ذلك الخراب والدمار الذي تعرض له الجنوب فنحن بحاجة إلى إمكانيات ضخمة وصبر كبير.

إن الذي دمره البعث خلال (٢٥) سنة لا يمكن بناؤه بسنة أو سنتين.. ويجب أن لا ننسى في النهاية نحن في أكبر مقبرة... وهو العراق . فلو لاسمح الله، إستمر صدام وزمرته في الحكم عشر سنوات أخرى كانت أجسادنا نحن الأحياء تحت الثرى والتراب فمن يجدها...؟

كوارث الكرد والشيعة

كل من يزور العراق لعدة أيام تظهر له بوضوح المصائب التي وقعت على الكرد والشيعة.

فعلى مر التاريخ العراقي الحديث حكمت الأقلية السنية الشيعة والكرد وعذبته عذاباً شديداً... على الرغم من أن السنة يمثلون ١٨% من سكان العراق. والكرد ١٩. ٢٠% والشيعة ٥٥% ودائماً كانت قيادة الجيش والمهمات الدبلوماسية بيد هذه الأقلية.

وكانت نظرة الأقلية السنية العربية إلى الشيعة والكرد نظرة متعالية عدائية. فيتهمون الكرد بالإنفصالية وإشغال الحروب ويتهمون الشيعة بالأعاجم والتبعية والولاء للغريب والعجم في اللغة العربية نوع من الحيوان. وعلى مدى ٢٥ سنة من حكم البعث كان حكمهم مليئاً بالمظالم ضد الكرد والشيعة في العراق. فهكذا كانت تتعامل العرب السنة وبهذه العقلية مع غيرهم. ودائماً كانت سجون ومعتقلات البعث مفتوحة أمام كرد والشيعة وأغلب السجناء والسياسيين في عهد النظام من الكرد والشيعة ونادراً ما رأينا سجن أو فصل عضو سني من وظيفته لإنتمائه السياسي... وفصله كان فقط من حزب البعث أو السلطة وليس الوظيفة... وهذا الفصل الحزبي شمل أقرب المقربين من صدام وبمراحل متتالية.

أغلبية سكان الجنوب تدرك تلك المظالم والمآسي التي لحقت بالشعب الكردي والشيعة فإن همومنا وغمومنا مشتركة... وطوال تواجدي في الجنوب لم ألتق سوى مثقف واحد يدعي الثقافة وهو شاب يعمل في مركز ثقافي في السماوة كان يخاف «الفدرالية» ويقول انها (بدعة) وتعني تقسيم العراق، والظاهر أن هذا الشخص لم يقرأ كثيراً عن الفدرالية.

والحقيقة أن الكرد والشيعة لهم عدو واحد ألا وهو (حزب البعث العراقي). وقبل ذهابي إلى الجنوب كنت اعتقد أن مظالم البعث وقعت على كردستان فقط. والظلم الأكبر وقع على مدينة كركوك بتدمير كل مقومات الحياة في المدينة وترحيل

وتهجير أهلها وإعدام واعتقال شبابها بغية أن يعم شوارع المدينة الوشاح الأسود لأمهات المدومين والمعتقلين الكرد.

وشاهدت المناظر والمشاهد عينها في الجنوب. هدم لكل مرافق الحياة الحيوية واللون الأسود يكسو نساء الجنوب.

وكل هذا الظلم وقع على الكرد في كركوك بسبب إنتمائهم القومي وتواجد النفط بشكل كبير في المدينة وهذا يدركه العالم.

ورأيت في الجنوب مقابر جماعية لنساء وأطفال وشيوخ الشيعة... الكل مدفون بملابسهم.. وأغلبهم دفنوا سنة ١٩٩١ بعد الإنتفاضة.. واستخدمت الأسلحة الكيماوية هناك أيضاً... وحرقت المزارع والبساتين والحقول هناك وردمت العيون والمنايع انها نفس مصائب ومآسي الكرد التي الحقها النظام بهم. فخوفاً من بطش البعث مات الآلاف من العوائل الكردية الهاربة إلى حدود إيران سنة ١٩٩١ خوفاً من بطش وهتك نظام صدام... فماتت الأغلبية من البرد والجوع..

وهناك مئات المقابر الجماعية على الحدود بين إيران والعراق.

وهناك آلاف الضحايا الذين دفنوا في مدن إيرانية عند هروبهم من فتك الجيش فماتت أغلبية الكرد في ديار الفرية في إيران. وهناك الآلاف من الأعمام والأخوة مجهولي المصير منذ عشرات السنين لا نعرف لهم مكاناً أو خبراً ليس لهم ذنب سوى أنهم أكراد. ولاخواننا الشيعة نفس العدد من الذين ماتوا جوعاً وعطشاً وحرراً على الحدود بين العراق والسعودية والأردن. هذه العوائل التي هربت من قساوة وبطش النظام. من سكان البصرة والعمارة والنجف وكربلاء وأكلت رفاتهم الذئاب الليلية على الحدود مع السعودية أو نهشتها الكلاب السائبة ولم ينج منها سوى القليل .

وحدثني رجل من كربلاء عن مصرع عزيز له . قال (توفيت زوجتي أمام عيني . حيث كانت ترتجف بشدة ، وتعرفت عرها بارداً ، ففاضت روحها) وكذلك حدثت لأبنته نفس حالة زوجها ، فقام الوالد بربط الفتاة بشدة كي لا ترتجف أمام عينه .. ففارقته المسكينة الحياة على غرار والدتها ، وعند وصولهم إلى احد المعسكرات السعودية

يخبرونهم كي يعيدوا الرفاة ... وحينما يصلون المكان ، يشاهدون رفاة الأم والبنت في
فم الكلاب والذئاب وعندما كان يروي لي هذا العربي الجنوبي القصة أو الحادثة كان
يبكي بحرقة وآلم . إنها تراجيديا شعب الجنوب نفس قصص وحكايات المعتقلين الكرد
في نقرة السلمان .

فعندما كان يموت معتقل كردي هناك ، يقومون بدفنه فيقوم الكلب الأسود باخراج
الضحية ويأكلها وينهشها ويمزقها تمزيقاً .

فالأكراد والشيعة يلتقون ويشترون في نقاط كثيرة...

وحينما كان يعلم اصدقاوي ومعارفي في جمجمال وشورش ومناطق متفرقة بأني
عضو في «لجنة الجنوب» للبحث عن المُنْظِلين فكانوا يأتون بأسماء ذويهم المُنْظِلين
لأبحث عنها في المقابر الجماعية.

وذات مرة جاءني رجل من دوكان حاملاً أسماء اثنين من أخوانه المُنْظِلين كي أبحث
عنهم في الجنوب... وأخذت منه الأسماء... وكذلك الجنوبيون كانوا يعطونني أسماء ذويهم
المفقودين كي أبحث عنهم في كردستان... وهذه نقطة اللقاء أخرى في مصائبنا...

ويجب أن لا ننسى أن المناضلين من الأكراد والشيعة كانوا شركاء مصير واحد في
سجون أبي غريب وفي مراكز الاستخبارات العراقية في كل مكان في العراق...

والقيادات السياسية الكردية والشيوعية تمت تصفيتهم واعدامهم في سجون الطاغية
وهذا الالتقاء في المصائب بين الكرد والشيعة يخلق العرب السنة، فهم ينظرون إلى مصائب
وويلات الشعبين على أنها وحدة منبثقة من هذه المصائب، وأن هؤلاء لا يدعونهم أن
ينفردوا مرة أخرى بالسلطة.

وكانت الأقلية السنية إبان حكم البعث رمزاً للاستبداد والظلم والتعسف فالبعثيون
ربوا السنة على احتكار السلطة والأرهاب، وحزب البعث قدم للعرب السنة كافة
التسهيلات لضمان رايعهم ، وعمق الخلافات بين الشيعة من جهة ومع الأكراد من جهة
أخرى في العراق .

الجنوبيون ذوو العيون السود .. شاركونا الهموم

مشاهدة هذه العبارة في الحيدرية (تعود هذه المقبرة إلى أخواننا الكرد) أبكتني من الأعماق وهزت كياني وهناك أخذ بيدي أحد إخواني العرب وواساني، عندها تذكرت قطعة شعرية للشاعر «كۆران» ورددتها في مناسبات أخرى حيث يقول:

أخي العربي ذو العيون السود

مر نصيبك. ومر نصيبي

جرعنا المر في كأس واحدة

مما جعل منا أخوين نتذوق العسل

إذ لولا سياسة البعث الشوفينية وأعدائه من بعض العرب لكان أغلب عرب العراق يجيدون اللغة الكردية بطلاقة. حالهم حال أغلب الأكراد الذين يجيدون اللغة العربية.

وفي السماوة سألني مواطن «لم لا تبعثون لنا عدداً من المعلمين الكرد كي يعلمونا اللغة الكردية».

وهناك قلت له أن رئيس وزراء العراق كان حينها لا يجيد كلمتين بالكردية... فكيف يحمي الكرد...؟ فمنذ عهد «عبدالرحمن النقيب» إلى عهد صدام تسلّم كردي واحد منصب رئيس الوزراء ألا وهو (احمد مختار بابان) وكانت مدة ولايته قصيرة جداً بحيث ما استطاع مواطن كردي كتابة (عريضة) له. ومن قدم لنا تسهيلات كثيرة وحمل هموم قضيتنا الصديق (منيف كامل)، حيث ساعدنا كثيراً... ولقاء خدماته لنا.. قررنا مساعدته مالياً فإذا به هو الذي يريد أن يقدم لنا مساعدة مالية... ومنيف.. شاب من السماوة... كان يفتخر بصداقته للكرد وقربه منهم، وكان سعيداً برفقته لنا في الرحلة.

ونحن في هذه الرحلة كسبنا كثيراً من الأصدقاء ويسعدنا أن نتحدث عن كل واحد منهم.... وهم:

١. منيف كامل الزيايدي:

يبلغ عمره ما بين (٢٥-٣٠) سنة. وهو شاب نبيه نشط كان يعمل بين السعودية والعراق . وهو يرغب كثيراً في أن يتعلم اللغة الكردية ، وكان يفتخر بعروبته ، ويحمل مسدساً تحت أبطله ويتعامل مع الضيف كالعربي الأصيل وله ثلاثة إخوان آخرين ، قدم لنا عوناً كثيراً . وأبدى استعداداه ان يقدم لنا جميع التسهيلات التي نحتاجها ويأتي معنا حيث نريد .

٢. كريم عطية حسن:

من الحيدرية (خان نص) شاب أسمر متوسط الطول. وهو الذي حمل معه ساعات الضحايا وكريم عانى كثيراً في معتقلات ووزنانات النظام. قام النظام بإعدام ثلاثة من أبناء عمومته. مازال مكان رفاتهم مجهولاً. بتهمة انتمائهم لحزب الدعوة، وكان يبحث عن رفاة أبناء عمومته الثلاثة.. وكريم أخذنا إلى مقبرة «المزارع» وهناك قام باخراج الضحايا واحدة تلو أخرى كي نراها وكان يرشدنا إلى مكان الرصاصة في رأس الضحية، تلك الرصاصة التي أطلقها البعثيون، وكريم يبلغ من العمر قرابة ٢٥ سنة.

٣. بشير صالح:

من البصرة يبلغ حوالي ٤٠ سنة كان يعمل مع (منظمة حقوق الإنسان/ فرع البصرة) رافقنا إلى المقبرة الجماعية التي تقع أمام جامعة البصرة.

حدثنا في سيارة التاكسي عن تلك الفتاة الصغيرة التي كانت من بلدة (زراين) حينما سمعوا صوت بكائها في احدى ليالي سنة ١٩٨٨ عندما كان بشير جندياً هناك. فلما ذهبوا إلى حيث الفتاة، وجدها تبكي فبقيت تلك الفتاة معه ومع صديقه إلى أن عثروا على اهل الفتاة وسلموها لهم..

ويقول بشير ان اقرباء واهل الفتاة موجودون اليوم وهم يعرفون المزيد عن الحادثة.

وعدا هذه الأسماء.. هناك المزيد من أولئك الذين نتحدث عنهم في الصفحات القادمة من هذا الكتاب.

وكلما ذهبنا إلى منطقة كان اخواننا الجنوبيون يقدمون لنا النصائح والارشادات.. ويحذروننا من اللصوص وقطاع الطرق فعلينا أن نحذرهم.
وكثير من هؤلاء الأصدقاء كانوا يحاولون رفع التهمة (تهمة المقابر الجماعية) عن العرب .. ويقولون (ان الذين قاموا بهذه الجرائم هم البعثيون)
وكنا نجيبهم (لا يوجد واد بدون واوي) أو (ليست جميع أصابع الإنسان متطابقة).

وهؤلاء كانوا صادقين في أقوالهم، وكان هناك من ينظر إلى مهمتنا باستهزاء ويقول لنا (حملتم القضية أكثر من اللازم) وكان فيهم نفعي يريد الحصول على المال منا. واعلمنا صديق من الجنوب (بأن هناك من الأشخاص مَن كان موجوداً في العمليات وهو أحد منفذيه ولديهم معرفة تامة بمكان المقابر الجماعية.. واليوم هؤلاء يبيعون تلك المعلومات).

وفي الجنوب مازال البعثيون نشطاء. فمثلاً ذات مرة تحدث رجل عن البعث وهو يهمس من تحت شفتيه... وبعد حين عرفنا انه كان يخاف بطش البعثيين.
ويعود هذا الخوف إلى تلك السنوات الـ ٢٥ التي استخدم النظام فيها الحديد والنار مع العراقيين.

وبعد جولتنا في الجنوب تأكدنا بأن لا يوجد شخص هناك لا يخاف بطش وظلم البعث.

فحتى البعثيين أنفسهم يخافون من البعث، وقد يكون صدام الرجل الوحيد الذي لا يهاب البعث.

وبصراحة كان «قصي وعدي وطه ياسين» يخافون من البعث... فالبعث أَرهاب الجميع، وهو الحزب الوحيد في تاريخ الإنسانية مارس البطش والقمع والظلم بأقصى مدى على مواطنيه. فالبعث سلب إنسانية الإنسان. فالبعثيون لا يعاملون الآخرين على أنهم بشر، وهؤلاء الآخرون لا ينظرون إلى البعثيين بأنهم من جنس البشر. وهم ينظرون إلى الآخر نظرة حقارة واستهزاء.

وهذه النظرة هي تربية قديمة للبعث لاعضائه، فهم يحقرون (الفارسي و التركي و العربي الكويتي والعربي السعودي والغربي). هي خاصة بالبعث. وفي تنظيماهم ينظرون نظرة استهزائية حقيرة إلى خصومهم.. خصوصاً.. الكرد.

البكاء على الرفاة

تمثل كل تلك الطلاقات في رؤوس ضحايانا كوارث ومصائب لنا .. في أكثر المقابر الجماعية يتكرر هذا النوع من الموت .

ومواضع تلك الاطلاقات توضح في تلك الصور التي التقطناها. في أكثر من موضع ومكان أبكتنا المقابر الجماعية ، ومما أثار دهشتي بكاء إخواننا العرب أيضاً .

وأغلب هذه الرفاة هي وفاة كرد لا ذنب لهم سوى أن الباري خلقهم كرداً. من هنا أردت أن أبحث التهمة الموجهة إلى هؤلاء ، فالتهم معروف (النظام وجلاوزته) ولا حاجة إلى اثبات تهمتهم . بل أريد أن أبحث تهمة (الكرد)

وهذه لها علاقة بتاريخ وسياسة الغرب .. وتقسيم كردستان بين ثلاث أو أربع دول متصارعة ، هذه الدول تأريخها مليء بالقتال والعنف والثأر وعدم المصالحة.

فماذا اُقتُرف هؤلاء الأطفال المدفونون في صحراء «ضبي» سوى أن خلقهم الله كرداً. وكل هذه الرفاة هي وفاة أولئك الكرد الذين خلقهم الله تعالٰى كرداً في هذا العراق (العربي).

بما أن هؤلاء كرد، فهم يستحقون القتل والنفي أو أن تمارس ضدهم حملات (الأنفال).

حملات الأنفال التي مورست قبل ١٤٠٠ عام فيجب أن تكرر اليوم على الكرد. وتداخل كل هذه العظام التي لا يمكن فصلها مصيبة.. لكن هذا التداخل له مدلول خاص عندي «إذن الجميع في هذه المقابر الجماعية هم كرد.. هنا لا نفرقنا الأحزاب والعشيرة والقبيلة واللهجة والملبس كلنا في هذه الحفرة كرد.. ولا نفكر هنا بالاحتلال الداخلي.. وأن يمحو أحدها الآخر فكل هذه الرفاة الكردية المتداخلة.. هي ضحايا تلك القومية التي لم تستطع عبر التاريخ أن «تتحد» كما اتحدت هنا.

هناك تخيلت اللحظة الأخيرة والنظرة النهائية لهؤلاء الضحايا إلى بعضهم.. انها لحظة الصفح والتسامح عبر تلك العيون المتلامسة فيما بينها ولحظة تقابل الشفاء

بقبله أبدية.. في هذه الحفرة ولحظة توديع الحياة إلى الأبد..
وان مدى حقد الجلادين واضحة بأنهم لم يفرقوا بين الرضيع والشيخ والطفل
والرجل والمرأة.. فهذه الرفاة هي رفاة كل الأصناف.
انظر.. كيف ربّى البعث وحوشاً؟ وحوشاً لا تميز حتى بين البشر
هنا تذكرت كلام علي حسن المجيد (علي كيمياوي)... ((نقتلهم جميعاً ... لانترك
فيهم أحياء))
إنها حملات الابادة الجماعية .. حملات لا تترك حياً .
بين تلك الرفاة كنت أبحث عن قصص اللحظة الأخيرة قبل الوداع... كنت أبحث
وخاطرتني تأخذني إلى تخيل آلاف الأشياء.
فأصحاني صديقي العربي بقوله (في كثير من تلك الأماكن التي قتلوا فيها الضحايا...
كثير من الناس سمعوا تشهد الضحايا وتكبيراتهم).
(ماد) ضابط أمريكي متواجد في السماوة في تلك الأثناء ذهب لرؤية مقبرة (ضبي)
الجماعية رأى في يد إحدى الضحايا (صرّة) يمسكها بيده بقوة وقد تكون الضحية
(عجوزاً)... وعندما فتح (ماد) الصّره وجد فيها (حبوباً ومشروب دواء) وهنا قال
(ماد): «هذا المنظر دليل على أن الضحايا لم يعلموا بأنهم يساقون إلى الموت».
تخيل صورة امرأة كردية في أقصى الجنوب مازالت تحمل دواءها.. إنها الأمل في
هذه الحياة.

فالكرد يحبون الحياة وجمال الوجود.
فهذه الصورة للعجوز الكردية من أجل صحتها تحمل الدواء.
بكينا كثيراً على رفاة ضحايانا آميلن أن نعيدها إلى مواطنها الأصلي.

عدد من الساعات في مقابر الحيدرية

والآن عرفنا ان الضحايا اخذوا مباشرة إلى حفر الموت. لذلك لم يستطع جلاوزة النظام من اخذ كل المستمسكات من الضحايا. على العكس من سياسة البعث في سجون الموصل و كركوك و ابي غريب، حيث كانت الضحية تجرد من كل شيء. وبعض الاشياء يُسلم إلى ذوي المدومين.. لكن ضحايا الأنفال لم يؤخذ منهم شيء سوى الأشياء النفيسة والغالية لذلك تجد في جيوبهم أشياء ... في أيدي ضحايا الحيدرية وجدوا ثلاث ساعات .. وهذه الساعات وجدت على عظام اليد للضحايا.. وهي من أنواع الساعات التي كان اقتناؤها شائعاً بين شباب الكرد حينها من نوعية (الاورينت والسترن).

وكريم تحدث عن كيفية عثوره على تلك الساعات .

وكان يضع الساعات في (صرة) من القماش ثم يضعها في كيس... وكريم كان يظن هذه الساعات دليلاً جيداً لمعرفة اصحابها من الضحايا. هناك أخبرنا كريم وأقرانه ان عدد الضحايا بالآلاف ولا يمكن معرفتهم أبداً بمثل هذه الدلائل. وقلنا له (بأن هناك عوائل لم ينج منها احد). فهؤلاء لا تنفعهم الأدلة.. فلمن نقدمها؟

حملنا الساعات إلى وزارة المرحلين والأنفال وحقوق الإنسان...

وهناك نصحتنا الانسة (ان كلود) بعد أن نظرت إلى الساعات.. والتقطت عدة صور. بأن نحتفظ بمثل هذه الوثائق والمستمسكات كي نضعها في المستقبل في متحف خاص لهذا الغرض.. خارج أو داخل العراق لضحايا كارثة الأنفال كما فعلت إسرائيل لضحايا (هولوكوست) حينها نستطيع أن نقص هذه الأحداث الحقيقية لأحفادنا ونقول لهم: (هذه كوارث قتل وإبادة آلاف المواطنين الأبرياء بعيداً عن أي مبدأ أخلاقي وإنساني)

وحملنا مع الساعات هويات الأحوال المدنية ومحفوظة لنحتفظ بها كوثائق.

كل تلك الأدلة الموجودة بين رفاة الضحايا من ملابس وأغراض هي ثروة وطنية للشعب الكردي. حيث عن طريق هذه الأدلة نستطيع إيصال الكارثة إلى كل العالم.

والثروة ليست فقط الموارد المالية المستحصلة فحسب.. فكوارث (هولوكوست والأرمن و
هروشينا و ناكازاكي) هي ثروة وطنية لأوطانهم.
مع كل هذا فان هذه الكوارث تقشعر منها الجلود وهي كارثة في حق الإنسانية.

البسة الكرد المتلوفة

على بعد مئات الكيلومترات عن موطن الآباء والأجداد وجدنا البسة كردية متمثلة بالسروال والياشماغ والقبعة الكردية والنطاق الكردي. والبسة كردية خاصة بالنساء... دفنت هذه الألبسة مع الضحايا تحت تراب الصحراء.

وبقيت هذه الألبسة شواهد حية على تلك الجريمة . ولتقول لنا نحن كنا: آخر أصدقاء الضحايا في رحلتهم.. وكلما كنا ننظر إلى هذه الألبسة تأخذنا الدهشة والتعجب.

هذا ثوب تلك المرأة الكردية كانت ترتديه أثناء هطول المطر والحالوب في منطقة (كهريمان)؟ وهذه يشماغ رجل كردي؟ وهذه قبعة كردية؟

وحينما كنا نقلب الملابس كي نصورها.. وجدنا بين تلك الملابس مشط شعر لم يتغير شيء.. وكل هذه الألبسة الكثيرة أغلبها كان سليماً كما كان في البداية تحت تراب الصحراء. وكنا نستطيع ان نأتي بها ونضعها في متحف خاص . فكل هذه الألبسة بقايا اثواب الضحايا (ضحايا كارثة الانفال).

حيث فكرنا أكثر من مرة أن هذه الملابس وثنائق وشهود على تلك الجريمة، لكن لا يمكننا ان ننزعها عن عظام الضحايا لأن ذلك يتسبب بتداخل عظام الضحايا فيما بينها وهذه عملية عشوائية.

ونحن على أمل ان تأتي لجان خاصة لهذا الغرض لتتعرف على كل ضحية... وهذا عمل شاق وصعب وحينما كنا ننظر إلى ملابس الـ(بيشمهركه)*. (اقول بيشمهركه) لأن ازام النظام اعدموهم لكونهم يساعدون البيشمركة الكرد ولهذا السبب انقلوا وقتلوا.. وهنا تذكرت مقولة عمّتي (حَبَه) العجوز التي كانت تسكن في مدينة (شورش) وثلاثة من اولادها مؤنفلون اشترت هذه المسكينة ثلاث بدلات من الزي الكردي الجديد... واحتفظت بها سنوات على أمل عودة أبنائها... وكانت تقول: «عندما يعودون سيلبسون بدلاتهم الجديدة كي لا يقول عنهم الناس بأنهم غير مرتبين».

وكنّت أفكر بأحاديث عوائل المؤنفلين اليومية حينما كانوا يسألونني «هل يعودون..؟» وكان الجواب «الله كريم» وفي يوم ٢٠٠٣/٤/٩ ترك دكتاتور بغداد كرسية الدموي وسقط... فألاف العوائل الكردية المؤنقلة كانت تنتظر عودة ذويها المؤنفلين في يوم ١٠/٤/٢٠٠٣... الآن سيعودون... لا... بعد قليل سيطرقون الأبواب.... سيعود المؤنفلون... وكنّت أفكر هل من الشجاعة لو قلت لعمتي (حبه) «لن يرتدي أحد من أبنائها تلك البدلات؟» فكان نقول دوماً أن أبنائنا المؤنفلين حينما يعودون ستكون ملابسهم رثة . لأنها نفس الملابس التي اعتقلوا بها.

وهنا فلت.... لا ننتظر من اليوم أحداً يطرق علينا الباب. فلا ننتظر طرق الأبواب إذن كل هذه الألبسة الممزقة... هي ملابس الأكراد التالفة في أعماق الصحراء.

وقام الأخ (منصور) أحد أعضاء لجنتنا بالاحتفاظ بقطعة أو قطعتين من لباس الأطفال الكرد حملها من «ظبي» كشهود على الجريمة.

واحدى قطع الفانلات كانت تصلح لطفل بعمر خمس سنوات ياترى في أول لحظة شراء هذه القائلة كم كان ذلك الطفل مسروراً؟... وكم غنت والدّة الطفل لابنها حينما البسته هذا الثوب الجديد؟.... تذكر نفسك حينما كانت امك تشتري لك ثوباً جديداً..؟

ياترى... كم قبلت والدّة هذا الطفل ابنها...؟ وكم مرة ضمته إلى صدرها؟... وكم كانت تنتظر لحظة لحظة ويوماً بعد يوم كي يكبر طفلها...؟

وكيف بها ان تعرف ان نهايتها وطفلها هي في صحراء «ظبي»؟ وإن آخر منزل لهما هناك؟

وكيف بها ان تعرف ان تلك القائلة ستعود إلى كردستان بعد (١٥) عاماً... ولتصير تلك القائلة شاهدة على هول الكارثة التي تعرض لها الشعب الكردي أمام أنظار وعيون العالم أجمع. دون التفوه بكلمة واحدة... واليوم صارت تلك القائلة شاهدة لقصاص ضحايا الأنفال.. يقصها على كل من يريد ان يسأل عن جريمة الأنفال.

حزام (پشتين) البيشمركة

وجدنا في (المزارع) (خان نص) أحزمة القماش الكردي الطويل والعائدة للبيشمركة الكرد... وهذه الأحزمة القماشية تستخدم تحت الشاجور... فكان البيشمركة الكرد يضعون هذا الحزام القماشي الطويل جداً والمريض تحت مخازن الأطلاقات (الشاجور) ويربطون فوقها أكبر عدد من الشاجور وكان هذا في فترة الثمانينيات. وأغلب شباب الكرد خصوصاً في القرى يقلدون البيشمركة في ذلك. ولهذا الحزام القماشي قصص مع البعثيين وجحوش النظام (الجاهش) من خونة الكرد. هؤلاء أيضاً كانوا يربطون نفس الحزام وعلى غرار البيشمركة.

وكان هؤلاء يحتقرون كل كردي يرتدي نفس الحزام ولكن رفيع وليس عريضاً. وينظرون نظرة عدائية لكل شاب كردي يرتدي الحزام الرفيع.... إضافة إلى هؤلاء الجحوش فأجهزة نظام البعث في حينها كانت لها نفس النظرة لشباب الكرد، خصوصاً في ثمانينيات القرن المنصرم. فعشرات المرات أهانوا شباب وطلبة الكرد بسبب ارتدائهم لذلك الحزام الرفيع. خصوصاً إذا ربط الحزام فوق القاط الكردي الأبيض... وكم مرة ضربوهم على هذا الزي. فذات يوم كنت في «جمجمال» وأنا طالب يافع في الصف الثاني المتوسط قام جحوش النظام بضربي لارتدائي هذا الزي الكردي، وكنا دائماً نتساءل: كيف يستطيع البيشمركة حمل كل هذه الاعتدة. فالحزام الكردي كان يساعده في ذلك. فالبيشمركة كان يظهر عملاقاً كبيراً بسبب ذلك إضافة إلى أنه كان يحميه من آلام الجسد وحينما وجدنا هذا الحزام القماشي في إحدى المقابر الجماعية أخذني خيالي إلى تلك الأيام الخوالي من عهد الثمانينيات... تخيلت ذلك اليوم الذي شاهدت فيه عبر شاشة التلفزيون العائد للنظام، شاهدت مئات البيشمركة المعتقلين. وقال مذبح النظام يومها: «هؤلاء عادوا إلى أحضان الوطن وكل هؤلاء البيشمركة كانوا جالسين بصمت وبزيهم الخاكي والأحزمة التي لم تكن فوقها الاعتدة. فبعض هؤلاء كان ينظر إلى الكاميرا، وبعض منهم موطن الرأس وينظر إلى التراب وكأنهم كانوا يفكرون في أيام

الحرية. حينما كانوا أحراراً في قرى وجبال كردستان. وكأنهم كانوا يقارنون بين هذا اليوم والبارحة. وفي ذلك اليوم كل من شاهد تلك المشاهد كان يعرف ان مصر هؤلاء هو «الموت» لا محال. فبعض النساء حينما رأينَ تلك المشاهد قلن «تمنينا فقد النظر لا ان نرى هؤلاء يمثل هذا الحال». فهؤلاء كانوا متراسين بانتظام في طوابير طويلة وعريضة وهم صامتون دون كلام.

وكان المذيع يتكلم بكلام لا طائل منه، وهؤلاء يفكرون بمصيرهم. وكل هؤلاء تم إعدامهم ولم يرههم أحد سوى تلك المرة من على شاشات التلفاز. لا أدري... لماذا تذكرت كل هذه الصور حينما أخرجنا تلك الأحزمة من المقبرة. وكان الحزام طويلاً جداً بحيث قمنا جميعاً بحمله لغرض التصوير... ولنقول لكم (هذا هو حزام قماش الكرد وصل إلى عمق الصحراء). وحينما كنا نقوم باخراج كل قطعة من الزي الكردي من تحت أتربة الصحراء... نحدث عنها اخواننا العرب، وشرحنا لهم لماذا يجب ان تكون أحزمة القماش الكردية طويلة بهذا الشكل. وحينما كنا نرى كل تلك الملابس الكردية . فلا بد للانسان ان يسأل نفسه سؤالاً وجيباً: ماذا يربطني أنا بهذا العراق...؟ هذا العراق الذي منذ تأسيسه وإلى يومنا هذا مصدر عذاب وظلم وتعسف للقومية الكردية....

وحينما كنا نرى مواقف اخواننا من العرب الشيعة المظلومين فهنا رأينا من الواجب أن نقارن مقارنة عميقة بين العرب الشيعة المظلومين والعرب السنة . فطيلة بقائنا في الجنوب سمعنا منهم عشرات المرات (لستم وحدكم مظلومين...؟)

صحيح، نحن وجدنا كل تلك الرفاة والملابس في صحارى الغربية... في الشنافية والحيدرية وطلبي والسلمان.... لكن لم نكن وحيدين، هناك سؤال ينبغي ان لانعقل عنه ألا وهو ماذا نفعل لان لا تتكرر مثل هذه الصور ولا يبعد الحزام الكردي عن كردستان مئات الكيلومترات إلى الصحاري...؟ كيف يمكن أن نحمي شعبنا من عدم تكرار كوارث الأنفال ثانية...؟ وهل بقاؤنا مع العرب السنة في ساحة واحدة هو لعب بالنار؟

تحدثنا بصراحة مع اخواننا الشيعة في كثير من المسائل والأمور، وهم رأوا وعرفوا

مصائب وكوارث الشعب الكردي طيلة بقائنا في الجنوب فمرة واحدة سمعت من شاب شيعي يتحدث عكس كل الشيعة، كان هذا الشاب متخلفاً بحيث كان يعتبر كلمتي كردستان والفدرالية كفراً، وكان يعمل هذا الشاب مع مجموعة من أصدقائه بإصدار صحيفة، ولا أدري إن كان أقرانه يفكرون بمثل تفكيره أم «لا».

الصور المتبقية مع الشهداء

وجدنا في جيب احدى الضحايا عدة صور.... البعض منها تالف نهائياً، وصورتان اخريان يمكن مشاهدتهما وهما تتجهان نحو التلف أيضاً:

الصورة الأولى

صورة طفلة صغيرة تتأمل بعينيها الجميلتين هذه الدنيا... ولا تتصور ان يجد احدى في يوم من الأيام صورتها في عمق الصحراء. الصورة تقول لنا بأنها بنت أحد الضحايا حملها والدها معه في جيبه مع صور أخرى لتكون امام عينه دوماً.... نحن لا نعرف هذه البنت الصغيرة أين تعيش؟ وهل مازالت تعيش؟ فقدت الحياة؟ مؤنفة؟ ماذا حدث لها؟

لا نعرف سوى ان هذه الصورة... صورة طفلة كردية بريئة وجدت في جيب والدها أو أخيها المؤنفل في حدود (زاهر) ونحن نعيد الصورة إلى كردستان. وطيلة تلك الفترة التي كانت معي تلك الصورة نظرت إليها مئات المرات. وكل مرة انظر إليها لا أرفع نظري عنها حتى تتعب عيني.

تحت ثرى الصحراء.... وبعد عدة سنوات من بقاء هذه الصورة تحت تراب الصحراء.... فما زالت عينا الفتاة تلمعان وتتلألأ.... فهي تنظر إلى كل من ينظر إليها بعمق وامعان....

الصورة الثانية:

صورة رجل وعلى رأسه الياشماغ الكردي بشدته المعروفة «جاماني» والتصور ان له لحية سوداء، فهذه الصورة تالفة كثيراً... لكن الياشماغ (الجاماني) ظاهر كما هو..... وحينما تمعن النظر بدقة في الصورة، تجزم انها صورة (مامة ريشة).

وجدنا في جيب أحد ضحايا مقبرة (زاهر) هاتين الصورتين وعدداً من الصور الأخرى المسوحة تماماً.

الممكن أن تصير هذه الصور والساعات وثائق تقود صدام وزمرته* إلى محكمة دولية

وكذلك محاكمة الدول التي ساعدت (البعث) في أداء جريمة (الجينوسايد) التي تدعو الى محو الشعب الكردي، واعتقد أن جراحات وآلام هاتين الصورتين خصوصاً صورة الطفلة آثارها أعمق من مقتل (محمد الدرة) الفلسطيني، والمصيبة الكبرى.. لم تقم قناة تلفزيونية أو صحيفة اعلامية بالحديث عن مجازر الأنفال حينها وعن صورة هذه الفتاة.... أو أن تنقل لنا مقتل الطالب (محمد رؤوف) الذي استشهد في مدينة (شورش) اثر اطلاق النار عليه من قبل جلاوزة البعث من فوق تلال (باني مقان).

(١) مامة ريشة «البيشمركة الملقب عند الأخوة العرب «بالرجل الحديدي» في فترة الثمانينيات وله ملاحم وبطولات حينها «الترجم».

وشورش هي مدينة بل هي عبارة عن معسكر كبير بناه جلاوزة النظام لتجميع بقايا عوائل المؤنظلين وتجميع ما تبقى من مواطني القرى والأرياف الكردية المهدومة . حيث تعرض المدنيون الكرد إلى حملات (بارق عبدالله) و (على حسن المجيد) والمتهمين الآخرين ...

وبعض هؤلاء المدنيين المعتقلين شملهم العفو في ١٩٨٨/٩/٤ وذلك بعد انتهاء من كل مراحل عمليات الأنفال .

و (محمد رؤوف) طالب عمره (١٤) سنة من سكنة (مجمع شورش) كان يدرس قرب بيتهم ... ولكن في لحظة سقط الكتاب من يده ... بعد أن أصيب بعيارات نارية من قبل جنود البعث .

وتحدثت لنا أخت (محمد) والدموع تملأ عينيها عن حادث مقتل أخيها... ذلك الجندي الذي قتل «محمد» برصاصة كان معروفاً ولم يسأله أحد. والأكراد يعرفون ذلك الجندي، حيث قام بجريمته نتيجة نشوة مستهترّة. وليجرب سلاحه بواسطة اطلاق طلقة في جسد المسكين.

و (باني مقان) هي سلسلة من التلال تطل على (مدينة شورش و جمجمال) وكان جنود النظام لهم نقاط عسكرية فوق تلك التلال إلى يوم سقوط صدام. وكان الشخص

الذي احتفظ بتلك الصور في منطقة (زاهر) هو الشاهد (صائب حسين جادري) وجد هذه الصور عند (النهر الثالث) المعروف بنهر (القائد) وقال: أأمل أن تجدوا عوائل الضحايا... ومن ثم يتسنى لكم معرفة كل ضحايا هذه المذبحة الجماعية التي تقع في منطقة (٧٠) تلة. وأنا أعتقد انه توجد تحت كل تلة أعداد هائلة من الضحايا..

((السماوة ، صحف وتلفزيون السماوة، الناس هناك))

في البداية يجب أن نعلم انه ليست السماوة وحدها هي كل الجنوب في العراق ...

اذن فلماذا نتحدث عن السماوة فقط؟؟

وللإجابة عن هذا السؤال نستند إلى مجموعة من الاحصائيات داخل المحافظة «حيث توجد داخل المحافظة خمس مقابر جماعية كبيرة.. لحد الآن تم اكتشاف ثلاث منها فقط .

واهالي السماوة يجزمون أنه توجد تحت ديارهم مقابر جماعية.. وكذلك في (السلمان) نقصد (قضاء السلمان) المعروف عند الكرا بـ(نقرة السلمان) فتوجد هناك خمس مقابر جماعية وفي ناحية «بوسية» توجد حوالي عشر مقابر جماعية للکرد . وسنتحدث في صفحات الكتاب القادمة عن (بوسية والسلمان) وفي الكثير من المناطق التابعة لمحافظة السماوة .. هناك مقابر جماعية مثلاً في (الوركاء) و (المشعل) وفي (شحية) ومناطق متفرقة أخرى ...

لهذا السبب توقعنا كثيراً عند السماوة، والسماوة محافظة عراقية سُميت (بالمثنى) والمدينة تبعد عن الحدود السعودية حوالي ٢٥٠ كم فقط ويرتبطون بصلة قرابة مع عوائل حدود السعودية. وعبر مراحل تاريخ الدولة العراقية كانت السماوة عبارة عن منفى لأولئك السياسيين الكرد عن كردستان الجنوبية المبعدين قسراً من قبل المركز. وهنا وجدنا منفياً كردياً من مدينة (خانقين) تم نفيه في فترة السبعينيات. (والسماويون كباقى العراقيين يحبون مدينتهم كثيراً) وهم يتباهون بعشائهم وقبائلهم وعوائلهم وأغلبهم يذكرون ألقابهم في نهاية أسمائهم، والسماوة كبقية محافظات العراق اصابها الخراب والدمار ابان حكم البعث.

في أكثر من مكان تشم رائحة المدينة العفنة على الرغم من نظافة ونزاهة قاطنيها.

واهل السماوة لطفاء ومرحون، وفتيات السماوة مثل بقية فتيات محافظات الجنوب

جماليات وفارعات الطول، ويقولون «كانت السماوة تحوي على أكثر عدد من اليهود. بين سنوات ١٩٤٨ - ١٩٥١ ... أغلب هؤلاء اليهود تم ترحيلهم إلى فلسطين - اسرائيل. وحسب قول الأهالي.... مازالت هناك اراض وبساتين لليهود في المدينة إلى هذا اليوم. ويهود السماوة مع باقي يهود العراق... تم أبعادهم إلى اسرائيل في سنة ١٩٤٨. والطاعنون في السن من السماويين يتحدثون عن علاقتهم الودية مع اليهود حينها وهم يقولون: (لم يذكر أن حدثت أية مشكلة بيننا وبين اليهود أبداً). وفي السماوة يعز ويقدر الغريب ويشكل عام المدينة ساكنة وهادئة ليلاً ونهاراً بحيث كنا نتجول في شوارعها إلى ساعات متأخرة من الليل (١٠ - ١١) ليلاً

والسماوة مثل البصرة جوهاً حار.... لكن ليايلها منعشة إلى حدٍ ما.... تصدر في السماوة صحيفة السماوة. وهي أسبوعية مستقلة ورئيس تحريرها (ناصر خرتوس) وهي صحيفة خبرية نقدية وجيدة من ثماني صفحات متوسطة الحجم وملونة وتطلب الصحيفة من الدوائر والجهات الرسمية المشاركة فيها....

وإن ما ادهشني في الصحيفة عدم وجود أية مقالة عن المقابر الجماعية على الرغم من أن مصدرها هم مجموعة من شباب المدينة ، هناك أيضاً (تلفزيون السماوة) ومديرها هو المهندس (صبري عبد الخضر) ويدير التلفزيون مجموعة من المصورين والفنيين الجيدين... وهم يهتمون بمشاكل المدينة من حيث الاعتماد والمشاكل والمعدات.

كان تلفزيون السماوة يقوم بعرض مشاهد للمقابر الجماعية هذا ما يثير انتباه الأهالي إليها ومتابعتها. ويشكل عام هناك حركة اعلامية وثقافية تتجه نحو الأحسن.

وتعرفنا على اثنين من هؤلاء وهما:

١. عدنان حسين طاهر (أبو قحطان)

وهو مسؤول اعلام محافظة السماوة... رجل مثابر وكاتب كذلك... كان معنا في رحلتنا إلى «بوسية» وهو يرغب في مساعدة كل من يبحث عن المقابر الجماعية هناك.

٢. أمين عاقولي (أمين محمد اميني)

يبلغ الخمسين أو أكثر من العمر... يعمل مع ابن اخيه مصوراً... وكان قديماً مصور

المحافظة أكثر أهالي المدينة يعرفونه.... وكان معنا بكامرتة الفيديو.... وهو مصور
ومنتاجي ماهر ويعمل في التلفزيون، كان أمين جندياً في جمجمال لعدة سنوات... وهو
يحب الكرد....

وعندما كنا في مقبرة (ظلي) الجماعية... شاهدته يبكي... وعافولي اعلمنا عن
اشياء كثيرة في السماوة.

في البدء تحدثت عن مدينة السماوة واهلها ويسعدني هنا ان افق عند عدة شخصيات أخرى.
١. سامي عزادة آل معجون (مسؤول إداري في السماوة) رجل ذو خبرة، هادئ، عاش
سنوات في السعودية ولندن. عمل ضابطاً ومستشاراً قانونياً لملك السعودية لعدة سنوات
، قدرنا كثيراً ... وكل ما طلبنا. منه كان جوابه دوماً (على عيني) ... وهو يعتبر نفسه
صديقاً للكرد وكان متألماً جداً لوجود المقابر الجماعية في حدود مدينته وهو أيضاً
ذاق مرارة البعثيين ... قال لنا (طول وجودكم هنا فأنتم ضيوفي) وكان يتمنى حصول
القوميات المتعاشية في العراق على حقوقهم العادلة. وفيما بعد صار هذا الرجل وزيراً
في الحكومة الانتقالية .

٢. أبو سارة : مدير ماء ومجاري السماوة في البداية كان يعمل في مجال الصحة ثم
صار مدير الهلال الأحمر / فرع السماوة ... وحصل على هذا المنصب بالاقتراع ... وهو
رجل خلوق ونزيه، وسيرته مشرفة تاريخياً ... ووعدنا بالمساعدة انى ماشئنا ذلك

٣. فراس عبدالمحسن: شاب يجيد الانكليزية يعمل مع كابتن (ماد) في الجيش الأمريكي
، قبلنا زار مقابر الكرد الجماعية في (ظلي) كان يكره البعثيين كثيراً... شاب وسيم
وحذر من اول نظرة تستلطفه.... وكان متحمساً جداً أن تنشأ محكمة لمحاكمة مجرمي
الحرب وتكون المحكمة دولية.... والمحاكمة علنية ومكشوفة، وعمل في الهلال الأحمر /
فرع السماوة، وكان يقدم المساعدة للمنظمات الأجنبية التي تساعدهم في المنطقة.

وبشكل عام اهل السماوة متفتحون... ظرفاء ولطفاء... يسمعون و يستمعون وهناك
تحسن انك في مدينتك فلا تشعر بالغربة ابداً سوى حر السماوة.

سراويل أهالي السماوة كردية

في مدينة السماوة جذب انتباهي تلك السراويل التي كان يرتديها العمال هناك، ويطلقون عليها (سروال) هي نفس الشروال الكردي مع شيء من التغيير.... وعندما سألتنا عن تأريخها... قالوا.... هذه من بقايا الجاليات اليهودية.

ونريد أن نقول هنا قبل أن يصل الزي الكردي إلى السماوة والسلمان وعادن... وقبل أن يدفن الكردي في المقابر الجماعية... كان يوجد في هذه المدينة زي يشبه الزي الكردي.... وصحيح أننا بكينا كثيراً على ضحايانا ولكن كنا حينما نرى ذلك اللباس في الأسواق والمطاعم فذلك كان يفرحنا...

ومن المعلوم للجميع أن الزي الكردي ممنوع الارتداء في تركيا آنذاك... وكذلك في العراق لكن بشكل آخر وبسياسة أخرى... وهي بمنع ارتدائه في الجامعة والمدرسة والدوائر الحكومية. ولقد عملت القنوات الاعلامية خصوصاً (التلفزيون) باعطاء صورة غير لائقة لهذا الزي.... مما أدى أن لا يرتدي الكردي هذا اللباس إلا في المناسبات والأفراح .

وأرى أن البعث لعب دوراً هاماً في الاستهزاء بهذا الزي أمام انظار الكرد أنفسهم والعالم على العكس من الزي العربي المعروف الذي يلبسه الملوك والرؤساء والوزراء في كل مكان وهم يفخرون به.

عشيرة آل زياد

لنوجد في السماوة عدة عشائر منها «آل زياد، آل عبس، آل فليج، آل جشحم، آل عاحم، آل معجون، وابن حجيم.....الخ»

وال زياد واحدة من تلك العشائر الموجودة في السماوة والسلمان ومملحة ويوجد في كل قرية من قرى آل زياد «مضيف خاص وأهم ما تفتخر به هذه القبيلة هو إعالتهم لـ «تيمور»... رغم أن عدداً منهم قاموا بايواء «تيمور» إلا أن كل العشيرة تتباهى بهذا العمل.

وحينما جلسنا في مضيف إحدى قرى هذه العشيرة وتسمى «آل عسيم» بدا لنا هذا بوضوح. يجب أن لا ننسى أن لهذه العشيرة خلافات مع عشائر أخرى... وهذه الخلافات موجودة في بين جميع عشائر العراق...

وأغلب أعضاء العشيرة يشتغلون بالرعي وتربية الأغنام والتهريب (القججبية) وسلك الشرطة، والمهربون بين السعودية والعراق هم وأيسر حالاً من البقية.

وفي العشيرة يوجد متعلمون ومسؤولون منهم (فارس الزيايدي) هو مساعد المحافظ للشؤون الفنية . وهذا الرجل طلب من أبناء عشيرته أن يقدموا لنا العون...

وأهم خصائص هذه العشيرة معرفته المتميزة بالصحراء وشعابها ... وعدم اختلاط نسائهم مع الغرباء . فحتى في الصحراء كانت هناك خيام خاصة للنساء ... ونحن لاحظنا هذا في الصحراء حيث كان الرجل يتواجدون في خيمة ، والمرأة في خيمة أخرى....

وفي سوق السماوة التقينا صدفه بأحد الشيوخ عرفنا الصديق (منيف كامل الزيايدي) به ورحب الشيخ بنا بحرارة وطلب استضافتنا وهناك عاتب منيف كثيراً لأنه لم يأخذنا اليه لغرض أداء واجب الضيافة .

وهذا الكرم موجود في أغلب عشائر الجنوب فهم يكرمون الضيف كثيراً.

وكان آل زياد يفتخرون ببايوانهم (تيمور) وهذا يعود إلى شجاعتهم وجراتهم وعدم خوفهم من ألام النظام حينها. في الوقت الذي كان الآخرون يسلمون الأبرياء لأزام النظام .

وبشكل عام... عشيرة آل زياد صفاراً وكباراً يحبون الضيوف ويكرمونهم... وكذلك فيهم من لا يؤدي لك خدمة إلا بمقابل. وفيهم من يساعدك ويريد أن يقدم لك الدعم المالي مثل «منيف كامل» وبالرغم من تعاونه معنا كان يريد أن يقدم لنا دعماً مادياً.

ومن أمثال منيف كذلك مثلاً (مالك خليفة)، حيث جاء إلى كركوك ليعطينا عدداً من هويات الأحوال المدنية وأغراضاً أخرى وهناك كان يريد أن يقدم لنا المساعدة ومالك هذا كان طالباً في السادس الابتدائي أثناء عمليات الأنفال... وكما يقول هو حيث رأى أغلب الكرد الذين دفنوا في الحفر (شكلاً مالك كبير السن) ويتواصل بقوله: ومن ثم كنت أرى تلك السيارات العائدة والمحملة بالجنود حينذاك عرفت بأن هؤلاء الكرد ذهبوا بهم إلى الموت» ولدى أغلب رجال الصحراء مثل هذه الحكايات والقصص ونحن ندونها بدقة كي تبقى في الذاكرة ولا تنسى أبداً.

ويجب على الكرد جميعاً أن يقدرُوا مواقف عشيرة «آل زياد» وذلك بسبب حفظهم وحمايتهم لتيمور... ويعملهم هذا أنقذوا من الموت أهم شاهد على عمليات الأنفال.

العائلة الثانية لتيemor عبدالله

قبل الخوض في قصة «تيemor» أرى من الواجب التحدث عن العائلة الثانية لتيemor.

تلك العائلة التي احتضنت الطفل وصارت له أهلاً. حينذاك كان عمر (تيemor) (٦٥) وكانت السنة ١٩٨٨.. في إحدى الليالي من تلك السنة وفي أعماق الصحراء وعن طريق المعجزة نجا (تيemor) من موت مؤكد حينما دفنوا كل تلك العوائل بعد رميهم في صحراء (ظبي)

تقع صحراء (ظبي) جنوب غربي السلطان. وعلى بعد ٧٠ كم عن السلطان... ومن طريق آخر يبعد حوالي ١٦٠ كم عن السماوة .

تقع في عمق الصحراء على بعد عدة كيلومترات عن الطريق المبلط... يمكن أن نسميها طريق الموت وسيارات الموت تعبر من ذلك الطريق.

ويزكر لنا أحد الشهود وهو (عبدالوالي) أنه رأى (١٢) سيارة كبيرة وعشر سيارات صغيرة وكانت السيارات الكبيرة من نوع (إيفا) وسيارات الحمل العسكرية والسيارات الأخرى هي (لاندكروزات) وعائلة (عبدالوالي) مع (٥) عوائل أخرى من آل زياد لم يكونوا بعيدين عن مكان الحادث.

وكانت تلك العوائل تقطن الخيام هناك... عندما رأوا السيارات والشفلات تعبر من هناك وعلى بعد ٢٥ كم وبعد الساعة ٢ بعد الظهر سمعوا أصوات اطلاقاات... ولا أحد فيهم يعرف سبب الاطلاقاات والرمي؟ ولماذا؟

وهم لم يريدوا أن يعرفوا السبب.. ففي ظل البعث وأثناء عهد صدام لم يحاول أحد معرفة أسرار البعث وأعماله لأنها معروفة.

كما قلنا بدأ الرمي عند الساعة (٣) بعد الظهر

وتيمور يبلغ مساكن تلك العوائل عند الساعة ١٢ ليلاً أي بعد ٩ ساعات من الرمي.

على الرغم من بعد المخيمات عن أماكن الرمي والاعدام ٣ كيلومترات أو أقل. وتيمور جريج بطلقة في صدره وكذلك جرح آخر في ظهره بسبب (كيلة الشفل) وفي ظلام الليل يصل الطفل قرب خيمة وينادي ليسمعوا، لنترك (غانم محمد الزياي) يحدثنا عن ذلك، حيث يقول: (حينما سمعنا عواء الكلاب خرجنا من البيت واتجهنا صوب العوي... عندها سمعت صوتاً ينادي (داية) ينادي ويبكي... وعندما توجهنا إليه. وجدنا طفلاً. أخرج خمسة دنائير من جيبه... وقال (دكتور).

نحن فهمنا كلمة (دكتور) ، وعندما أدخلناه إلى الخيمة رأينا تغير لونه إذ سال منه دم كثير ..

والمشكلة لا توجد بيننا لغة تفاهم... ولكني التقطت كلمة (كلار، منه..

حينها عرفت بأنه (كردي) ومن (كلار)

فقلت له: (هنا ليس كلار بل سماوة)

فقمنا بتنظيفه من الدم واطعمناه ثم عاهدنا (الله) على أن نربي هذا الطفل لوجه لله ونحافظ عليه، حيث اجتمع كل رجال تلك الخيام الخمسة لمعالجة هذه القضية. وكنا نعلم لو أن الحكومة عرفت بهذا الخبر ستقلعنا من الأعماق والجذور وأخيراً اتفقنا على أن نربي هذا الطفل ونحتفظ به (وليصر خلي يصير) فلم ننم تلك الليلة حتى الرابعة صباحاً، حيث أخذ (عبدالهيثم) الطفل وأبعده عشرات الكيلومترات عن مكان الحادث به إلى «العيشم».

في تلك القرية عملوا على تربيته ويقول: «في الحقيقة هو ابن كل قرية وهناك أسميناه (علي عبدالله) أو علي عبد، اشترينا له دسداشة وكل ماهو ضروري ودويناه إلى أن شفي ، وتعلم اللغة العربية سريعاً بحيث كل من يسمعه يجزم بأنه عربي، ويقول (حجي عبد) في ذلك اليوم أعطيتُ محمد ابني (٥٠) ديناراً كي يشتري له حوائجه... والآن لنذهب إلى تلك العجوز التي احتضنت تيمور وربته كأحد أبنائها.

عند زيارتنا إلى هناك كانت هي مريضة ولم نستطع رؤيتها، لكن رجال القرية

وهو لون عنها: (إنها كانت تحب تيمور) كثيراً بحيث لو سمعت الآن بأسمه لغرقت البكاء
عليه.... وأطفال القرية التي تربي فيها تيمور كانوا ينظرون إلينا بامعان ودقة، لذلك
التفعلنا لهم عدة صور.

هؤلاء لا يدركون بأن آلاف الكرد مدفونون تحت رمال الصحراء وفي الأعماق وما
أدھشنا أن جميع أهل القرية كانوا يفتخرون لأيوائهم تيمور وكل منهم يتحدث عن
بطولاته. الكل يفتخر بذلك وليس (٦.٧) عوائل فقط وهنا من الضروري التحدث عن
(مهد والي أو الحجى عبد)، هو من مواليد سنة ١٩٠٧، رجل قوي وسليم البنية رغم
الدهينه... لايعرف طعماً للراحة... وهو خبير في الصحراء وطرقها وشعابها، ودون أن
يحملن يأخذنا إلى المكان الذي نريده والعائلة الثانية لتيمور وكل أهالي السماوة يعتبرون
، حياة تيمور بمثابة المعجزة. نجاة طفل بعمر (٥.٦) سنوات وبذلك الجراح وفي الصحراء،
حبث انه لو لم يمُت عطشاً.. لأكلته الذئاب، ولكن عاش ليكون شاهداً حياً على الجريمة
وبقي تيمور في أحضان عائلته الثانية أكثر من ٦ سنوات... ثم عاد ليعيش إلى الأبد
مع عائلته الأصلية.

عائلة تيمور وأقرباؤه

في «ظبي» دفنت عائلة تيمور وأغلب أقربائه ، هناك وجدنا عدة حفر . عدد الحفر التي زرناها نحن كانت ثلاث إلى أربع وكل واحدة على شكل مقبرة كبيرة طولها عشرة أمتار وعرضها ٢ . ٣ أمتار محفورة بواسطة الشفلات ، والمساحة الأجمالية لتلك المقابر حسب ظني تتراوح طولها بين ٤٤ - ٥٧ أمتار وعرضها ٢٠ - ٤٧ أمتار.

في تلك المقبرة وذلك المكان تم دفن اثنتين من أخوات تيمور ووالدته وجدته من أبيه... مع كثير من أقربائه مدفونون هناك في مقابر جماعية...

المكان الذي دفن فيه هؤلاء بعد رميهم هو مكان قحط وأرض جرداء لا ينبت فيها أي نوع من النباتات... سوى نوع من نبات العاقول الذي اعتقده لا يحتاج أبداً إلى ماء. ولو سرت لفترة طويلة هناك لما تجد أثراً للماء ، وكل شخص يترك هناك ، بعد عدة ساعات سيموت من العطش.

يوجد في ذلك المكان نوع من الزواحف يشبه السحالي وهي تغير لونها بتغيير الصحراء وهذه الزاحفة سريعة جداً بحيث تختفي عن الأنظار بسرعة فائقة، والعرب في الصحراء يأكلونها والزاحفة حينما تعتقد بأنها ستقع في فقص الصياد... تستلقي على ظهرها وتقوم بوضع يديها على رقبته خوف الذبح.

وفي الصحراء ذئاب قوية نادراً ما يفوتها صيدها وعلى العموم: هذه صورة سريعة لذلك المكان الذي دفنت فيه عائلة تيمور وأهالي منطقة (كهريمان).

هؤلاء لم يسمعو ولم يتخيلوا ولم يفكروا ولم يسمعو بهذا المكان يوماً... وهذا المكان لم نسمع نحن به أيضاً فهو لا يوجد على الخريطة... هنالك دفن الضحايا الذين جاءوا بهم في تلك السيارات التي ذكرناها مسبقاً... وجاءوا بهم إلى هذه الحفر وصفوهم حولها ورموهم بالرصاص.

وهؤلاء مثل ضحايا (الحيدرية) كان مكان الرصاصة أو الطلقة في الرأس، فالجلادون

كانوا يوجهون الرصاص في الرأس والصدر وبعد اتمام عمليات الرمي يقومون بدفن الجرحى والموتى بملابسهم داخل تلك الشقوق والحفر يدفنون مع كل حوائجهم التي لم يستطع الأزام من أخذها. هؤلاء تم رميهم في نفس اليوم الذي وصلوا فيه إلى عمق الصحراء، لأن إحدى الضحايا وقد تكون جثة تيمور كانت تحمل في يدها كيس الدواء... وهما نحن باللاتيان ببعض الألبسة وملاعق حليب الأطفال التي جمعها الأخ منصور وأنا متأكد بأن ضحايا «ظبي» أغلبهم يحملون في جيوبهم هويات الأحوال المدنية وصوراً وأشياء أخرى لأن الصداميين لم يخبروهم عن مكان الذهاب وأن إعدام هؤلاء تم بلجنة سريعة التنفيذ، دون أن تقوم بجمع أشياء وأغراض الضحايا.....

والدليل على صدق قلبي أننا نجد مع الضحايا صوراً وهويات وأدوية... وأغلب عمليات الإعدام... هنا وهناك نفذت على وجه السرعة.. حسب كتاب (سري وعاجل) او (سري وفوري).

لذلك في جميع الأماكن تجد أغراض ومتعلقات الضحايا... ولا تجد في مقبرة (ظبي) الجماعية سوى رفاة الأطفال والنساء منهم عائلة تيمور ولا وجود لرعاة رجال واعتقد أن الشباب والرجال دفنوا في مناطق أخرى مازالت مجهولة ، وحسب أقوال تيمور للصحفي (كنعان مكية) وحسب أقوال الشهود الذين شاهدوا سيارات الجلادين... فإن الدين نفذوا هذه العملية هم من عناصر الأمن والاستخبارات... وإذا كان معهم أفراد من الجيش فهؤلاء تواجدوا للحماية فقط... أو في الأصل هؤلاء من الاستخبارات العسكرية التي نفذت تلك العمليات الإجرامية.

ومما يؤكد صدق أقوالنا أن أغلب وثائق عمليات الأنفال تم العثور عليها في المخابرات العسكرية وعلى الرغم من قلة الوثائق التي نستند إليها إلا أنه يجب أن لا ننسى أن الجحافل الخفيفة «الجحوش» كان لهم دور بارز في مساعدة البعث للقبض على الضحايا وتسليمهم....

وستحدث عن أحد أولئك الجحوش الذي شاهد بأمر عينيه عذابات المؤنفلين إلا وهو (هاشم آغا) من كوية الذي قام بنقل المؤنفلين بين كوية ووادي باليسان فسلم المؤنفلين

كهدية للبعثيين ليحصل على نوط شجاعة.
وهذا نفس عمل المستشارين (الججوش) الآخرين في المنطقة، دون أن يفكر هؤلاء
الججوش أن يتعرضوا إلى لعنة التاريخ في يوم من الأيام لكن هؤلاء الججوش لم يشاركوا
في عمليات الرمي والإعدام، فعملهم لم يخرج عن إطار تواجدهم.

قصة تيمور

تيمور عبدالله من أهالي بلدة (كولة جو) التابعة لمدينة كلار.. في كوارث عمليات الأنفال كان مع العوائل التي تم نفيها إلى أعماق الصحراء في الجنوب.

تيمور كان عمره حينها يتراوح بين (٥-٦) سنوات لا أكثر... تم نقل تيمور إلى الموت على بعد مئات الكيلومترات عن أرض آبائه وأجداده مع اثنتين من أخواته ووالدته .

وقد تحدث تيمور عن رحلة الموت هذه . للكاتب (كنعان مكية) حيث تحدث عن كيفية الرمي وقيام الشفلات بدفن الضحايا بالتراب. وكيف يخرج تيمور بجراحاته من الحفرة... وكيف يرشده أحد سواق الشفلات إلى الطريق في الصحراء وحسب اعتقادي فقد تمت عمليات الرمي في وقت العصر وتمت عمليات الردم بواسطة الشفلات قرابة المغرب وتيمور ينجو في الليل ولا يهمننا هنا الوقت بالساعات إنما يهمننا نجاة تيمور وفي تلك العمليات تم قتل مئات بل ألوف أطفال ودفنوا في الصحراء. لكن تيمور الوحيد الذي نجا فيهم ويروي تيمور:

حينما وقفت في حفرة.. شاهدت فتاة صغيرة على قيد الحياة.. طلبت منها ان نهرب سوياً لكن الفتاة كانت خائفة ولم تستطع كانت اصغر مني.

وأحداث وقائع قتل البعثيين والصداميين للأطفال الكرد ليست واقعة تيمور وعائلته فقط بل في وادي باليسان وبادينان وحلبجة وأماكن كثيرة متفرقة أخرى... فعل البعث بالكرد ماشاء..

وتوجد في عمليات الأنفال أطفال رضع لم تتجاوز أعمارهم سنة واحدة. ونذكر لكم هنا أحداث قصة تيمور لتعرفوا كيف صار (سماوياً) من السماوة بعدما كان من مدينة (كولة جو)؟ وكيف صار عربياً بعد أن كان كردياً ! وكيف صار شيعياً بعد أن كان سنياً؟ وكيف بقي حياً ليكون شاهداً على الجريمة ؟ وكيف ذهب إلى أمريكا خوفاً من القتل والأغتيال؟

اعتقد بأن عدم توثيق قصة تيمور أو كتابتها على شكل فلم سينمائي يعود القصور والأهمال فيها إلى تيمور نفسه، وذلك لأن تيمور لم يعد إلى كردستان ولو مرة واحدة بعد ذهابه إلى أمريكا... وكان يستطيع التعاقد مع عدة مؤسسات لإخراج فلم من هذا القبيل.

واليوم وبعد أن وجدنا تلك المقابر الجماعية التي دفنت فيها عائلة (تيمور) والآخرين .

فصحة كلمات تيمور صارت وثيقة للعالم أجمع وتوجد في تلك المنطقة عدة قبور جماعية أخرى إضافة إلى تلك المقبرة. ولكل منها قصتها وأحداثها.

وقبيلة (آل زياد) حينما يتحدثون عن تيمور يتعجبون لذلك بسبب طفولة تيمور. كيف استطاع أن ينجو من قبضة أزام النظام ويصل إلى المناطق المحررة في كردستان؟ إنه لم ينطق ولو بكلمة واحدة عن تلك العائلة التي أقامت على تربيته وصار ابناً لها.... واليوم ورغم تواجده في أمريكا إلا أن له علاقات صداقة مع شباب تلك القبيلة. وتيمور أدرك لو أن جلاوزة النظام حينما عرفت بقصته وحماية تلك القبيلة له... لأصبح مصير تلك القبيلة كمصير عائلة تيمور والكثير من الشيوخ والعجائز عادوا من معتقلات (نقرة السلطان) والسجون الأخرى. ليحدثونا عن قصص الأنفال إلا أن أحداً من أولئك لم يهرب من حفرة الموت كما نجا أو هرب تيمور.. وهذه المفارقة بين قصة أولئك وقصة تيمور والكارثة الكبرى في رأيي أن الكرد أنفسهم لم يعطوا قضية نجاة (تيمور) أهمية خاصة ولا تيمور يهتم بقضيته التي هي في الأصل قضية كل الكرد يصير كل هذا المكتوب والمنقول وثائق حية على الجريمة، فتيمور يخاف على نفسه وحياته.

فكل فلم أو لقاء مع تيمور ثروة وطنية لقضيتنا لها أهميتها الخاصة. فظلم الحزب الحاكم (البعث) وقصص (المقابر الجماعية) وقصف عشرات المناطق في كردستان بأسلحة كيميائية وبيع بنات ونساء الكرد في عهد النظام دلائل حية على ظلم البعثيين للكرد.

لا وجه مقارنة بين ما قام به (هتلر) مقارنة بظلم (الكرد)، فهتلر وظلمه لا يصل إلى درجة واحدة في ظلم البعث مع ذلك فقضية الأنفال قضية معتمدة لا يدركها إلا قليل.

وكذلك قصة تيمور لم تنل حجمها الحقيقي في العالم، ولا نجد في المكتبات العالمية أربعة كتب عن جريمة الأنفال.

والعجيب أن الطفل الكردي تعلم منذ الصغر من هو عباس بن فرناس؟ ومن هو القمقاع..؟ ومن هو هارون الرشيد؟ ولكنه لا يعرف الشخصيات الكردية مثل الشيخ سعيد ثيران، فالكارثة ليست في إيصال وقائع قصة تيمور إلى كل بيت بل الكارثة والمصيبة الكبرى أن لا تعرف من هو تيمور؟ وماهي المقابر الجماعية ؟ وهل قصة نجاة تيمور من المقابر الجماعية حقيقية أم لا؟

في أغلب الأحيان يتم الحديث عن أهمال الكرد لأغلب قضايا المصرية. وآلامه. ولحد هذا اليوم لم نستطع أن نحدد أسباب هذا الأهمال.

انا لا أعتقد أن العالم قرية صغيرة، فلو كانت كذلك لكان من الواجب ان يعرف كل الدنيا من هم (الكورد) وماهي الأنفال؟ وماهي حلبجة؟ وما تلك المقابر الجماعية التي دفن فيها الكورد بهندامهم ولباسهم؟ والعالم ليس قرية صغيرة كما يدعون بل هو فوضى وبدون معنى كما يشاهدنا . فنحن نصرخ بملء أفواهنا وهناك من يقول لنا من انتم؟ وماذا تريدون؟ وهل انتم موجودون أصلاً؟ هذا ما يجعلنا نشك في انسانيتنا؟ فلماذا هذا الاهمال للانسان؟ ففي القرية الصغيرة يجب ان لا يخفى شيء؟ فنحن الكورد متواجدون قبل آلاف السنين على هذه الأرض... وعددنا يتجاوز (5) ملايين إنسان كوردي في العراق (عدا الدول الأخرى).

ولكننا ضائعون، ضائعون بذلك المعنى أي يجب أن يجدوا رفاتنا واشلاءنا تحت اقدام غيرنا في المقابر الجماعية، ودوماً نحن الضحايا وفي أفضل حالاتنا كنا مواطنين من الدرجة الثانية فإذا كان التعايش من أجمل سمات العصر الحديث فنحن نخاف كثيراً جداً من هذا التعايش.

الصحراء تبلع الجميع

في الصحراء تشعر بالخوف والضييق والإختناق وإذا لم تكن خائفاً من قبور الكرد الجماعية. فالصحراء لوحدها تخيفك.. وفي كل مكان تقف فيه هناك تشعر بأنه وسط ومركز الصحراء. ويراودك احساس أنك في بئر... في الصحراء وفي كل الاتجاهات لاترى سوى السماء. وأينما تقف هناك تشعر بأنك صغير جداً. وكنا نرى أنفسنا اصغر من نقطة قلم. وكنا نشك في وجودنا في بعض الأحيان وفي بعض الأحيان، كنت ابتعد عن اصحابي لأتعرف على مساحة الصحراء فحينها كنت على اعتقاد بأن الصحراء لها القدرة والقابلية على ابتلاع كل البشر ولا تمتلئ.. هذا كان يذكرني بجهنم وجهنم حسب الآيات القرآنية تقول: (هل من مزيد) فعندها عرفت لماذا اختار صدام الصحراء ليدفن فيها كل ضحاياه خصوصاً الكرد.

وهناك شعرت بأنه لامعنى لهذه الحياة لأن الصحراء تفقد هذه المعاني فحينما تقول مثلاً (رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة) كنت أدرك هناك لو قطعنا ألف ميل فمازلنا في نقطة الصفر.

لأن الطبيعة هناك على مدى نظر الإنسان هي صحراء في صحراء. وهذا ما قاله لنا الحاج (عبدالوالي) فعندما دخلنا الطريق الترابي في الصحراء أشعل سيكارة وقال: (الآن اصمتوا عن الكلام) وأحد الجالسين في السيارة (اللانديكروز) قال: (لماذا أصمت؟ فأجابه (لأن الصحراء خداعة ويمكن أن تخدعنا).

هذا ما تسمعون به بأنفسكم فخيراء واختصاصيو الصحراء يخافون من الصحراء ان تخدعهم. وأكثر من مرة حاولت الصحراء خداعنا ، فذات مرة قطعنا أكثر من ٥٠ كم في الصحراء بعدها عرف الدليل بأن الطريق غير طريقنا، وثلاث مرات استسلمت سيارتنا لقوة وعظمة الصحراء وكلما تواجدت فترة أطول في الصحراء تحس دوماً أنك في مصارعة الموت.

وفي الصحراء راحة ولا تفكير ولا تستطيع هناك التوقف والتأمل فيجب عليك السير دوماً .

وفي الصحراء لا يمكنك أن تتخذ قراراً، وصعوبة الصحراء اثبتت لي لماذا قاطنو الصحراء لا يسمعون اليك سوى قليل؟ ولماذا سكان الصحراء حينما يغضبون لا يهدءون ببساطة وسهولة ؟ وهذا الشيء انطبق علينا... هناك شعرت بأن القلب يدق بسرعة... كما أحسست أن كل واحد فينا يرى رايه صواباً فقط ولا يقبل الرأي الآخر. هناك كنا جميعاً نصب جام غضبنا على الآخر. وهذا عكس الرأي القائل (عند الضيق والخوف يقترب الناس من بعضهم البعض).

ونحن على عكس (باولو كويلو) لم تكن نبحث عن البقاء في الصحراء.. بل كنا نبحث عن رفاة وجثث ضحايانا.

وكم من مرة قلنا بأننا سنصبح نحن أيضاً ضحايا الصحراء. وحتى الضحكة في الصحراء خداعة.

وأنت في الصحراء تصبح مخادعاً. فمثلاً حينما كان يقل الماء الذي نحمله هكل واحد منا يريد أن يشرب كل ماء الجعبة ولا يفكر في صاحبه وعندما يقل الماء تشعر دوماً بالعطش. وتشرب الكثير من الماء وكأنك تريد أن تعيش فترة أطول.

وفي بعض الأحيان تسأل نفسك. لماذا هذه السعرة في شرب الماء؟ ولماذا هذا الشرب الكثير للماء؟ في الوقت الذي يجب أن نكون جميعاً مع بعض في الموت والحياة.

روى لي أحد أصحابي قصة غريبة قال: (قبل أن نأتي إلى الصحراء حملت معي ثلاثة أرغفة خبز دون علم أصحابي وذلك لأعيش أكثر منهم) في الصحراء وصلت إلى تلك القناعة بأن عملي هذا غير مفيد؟

قتل الكرد ودفنهم هناك له علاقة بجميع الحالات التي ذكرتها..

فمثلاً خارج الصحراء إذا أردت أن تقتل شخصاً فمن الممكن التراجع في هذا القرار... فمثلاً لو كنت في سهل وأردت قتل شخص فعند سماعك لصوت غزالة أو تغريد طير قد تتراجع عن قرارك. أو كنت في الجبل وتريد أن تقوم بنفس الفعلة، فمن الممكن

تراجعك إذا رايت وردة جميلة او طلت عليك نسمة هواء عذبة . او شاهدت صفوة ماء
او صوت ورقة شجرة . فهناك أشياء كثيرة تهدي الإنسان .

أما في الصحراء فلا وجود لشيء يثنيك عن قرار القتل . ولا وجود لشيء يوظف
الوجدان ويسألك (اين ضميرك) وفي الصحراء ما تقرره يجب أن تنفذه . وهذا ما أدركه
البعث جيداً . كذلك أمروا بإعدام الضحايا هناك .

والآن عرفتم لو أن أحد الضحايا استنجد سواء كان امرأة أو طفلاً أو شيخاً استنجد
بهم ليتركوه متركوه ولو أن الصحراء ستقتله وبهذه الأسطر لا يستطيع وصف الصحراء
وغضبها . لذلك أرى من الضروري أن تسافر إلى الصحراء هناك لتتأكد من أننا لم
نستطع وصف الصحراء في هذه الوريقات .

ويمكن لك أن ترجع عشرات المرات إلى الصحراء خصوصاً بعد أن تلاحمت عظامنا
ورفاتنا ودماءنا مع رمال الصحراء .

ومع كل غضب وجبروت الصحراء لا يحق لنا معاداة الصحراء لأنها حفظت لنا رفاة
شهدائنا على العكس من البعثيين الذين أرادوا أخفاء تلك الرفاة .

الوجه الآخر للصحراء

فيما سبق تحدثنا كثيراً عن بعض الجوانب الظاهرية والشكلية للصحراء . وهنا نتوقف كي نتحدث باختصار عن الوجه الداخلي أو أعماق الصحراء . قلب الصحراء ، دموع الصحراء .

حتى البحار على الرغم من جمالها وطبيعتها الخلابة وهدوئها . فتراها أحياناً تفيض وتثور من الداخل . ولكن هل الصحراء على نمط البحر ؟ وأحياناً نتحدث عن جهنم قلو نظرنا إليها نظرة شاعرية فحينما تبحث في جهنم عن الاختلاقات والغيبات يمكنك أن تجد حتى في جهنم جماليات .

ولكن عندما نتحدث عنها دوماً نتذكر ونفكر في غضبها وحسبها وكل ماهو قبيح . هكذا نتخيل جهنم؟ فكلمنا تذكرناها نتذكر الخوف والهول والعطش والكوارث..

وكذلك حينما نتذكر الصحراء نتخيل كل ما قلناه عنها آنفاً ولكن لو نظرنا إلى الصحراء نظرة عطف ورحمة وتشاهد الصحراء كأنها عجوز عمرها آلاف السنوات... فكل أعضاء جسد الصحراء إذا تصورناها كجسد.. فحصى الجسد هرم .

وجلودها منشقة، وتخليها كأنها متعبة وتبحث عن لحظة راحة . فالصحراء تشبه ذلك الشيخ الكردي الطاعن في السن الذي تم اعدام أبنائه أمام عينه . ومن ثم ترك هو ليموت في الصحراء . في ذلك المكان الخالي والقاحل . ولا تحتوي قطرة ماء أو عشب .

فواجب الصحراء التخلص من هذا الشيخ .

وحينما تتمعن في الصحراء بدقة، تحس أن الصحراء تبكي على نفسها بغزارة ولكن دون نزول دمة واحدة، في اللحظة الأولى حينما تشاهد الصحراء وكأنها منبوذة، عند ذاك ترحم عليها .

فنحن نتعاطف مع الصحراء فتعاطفنا مع تلك الفتاة الصغيرة التي وردت في مكان

من هذه الدنيا وهي تنتظر لحظة ليرجموها بالحجارة.

والفرق الوحيد بين الصحراء وتلك الفتاة...

الصحراء لا تموت ولا تظل منبوذة، لكن تلك الصغيرة تموت وتقر عينها ولا تشعر بتلك الأحجار التي تضرب بها وقد توصلت إلى تلك القناعة بما أن للصحراء قلباً فلا يؤمن وجود الجمال فيها.

كنت أحياناً أحاور الصحراء مع نفسي حيث كنت أسمعها تقول لي ما في أعماقها وترجو منا أن نعمل على إعادة تلك الرفاة المدفونة في أعماقها إلى موطنها الأصلي وكنت أقول لها ان هذه الرفاة ضيوف عندك هذه الأيام.

وتقول لي (أنت لا تعلم كم يؤلني وجودهم بهذا الشكل في أحشائي وأعماقي) وتعجب من هذا الجواب حينما قال: (يستطيع الإنسان أن يعطي الصحراء شيئاً من الجمال!) حيث كان يقول: (فبدلاً من قتل وتعذيب الكرد واعدائهم من قبل صدام وزمرته . ماذا كان يجري لو عمروا الصحراء وزرعوها)؟؟

فطول فترة تواجدي في قضاء (السلامان) لم أشاهد شجرة عالية وقد أتصور أن لا تنمو فيها الأشجار ويثير الاستغراب أن نعلم بأنه ليس هناك ترابط أو معاهدة بين الصحراء والبعثيين لذلك لا يجب علينا أن ننظر إلى الصحراء كنظرة البعثيين.

فالصحراء تكاد تذوب وتحترق من الداخل على كل تلك المظالم التي ألحقت بالشعب الكردي وكل عربي يدركها، من مقابر جماعية وغيرها من ظلم البعثيين للكرد.

ومن فضل الصحراء علينا بعد حفظ رفاة أبنائنا في داخلها هو حفظها لتييمور فكل من يعرف بالصحراء لا يتصور أن يبقى طفل في مثل هذا العمر في الصحراء حياً.

خصوصاً في تلك الظروف والأثناء، حتى ان كان خبيراً عارفاً بالصحراء.

وانا بأسم الشعب الكردي أقدم شكري وامتناني للصحراء التي حافظت على رفاة احبابنا وأعزائنا سنين طويلة.

أقدم اعتزازي إلى تلك الجهنم الذي أشفقت علينا ونظرت نظرة رحمة لنا. ولكن وبكل أسف مازلنا نبحث عن جهنمات جديدة.

قلعة السلطان (قلعة موت الكرد)

المسافة بين قضاء سلمان ومحافظة السماوة تبلغ حوالي ١٦٠ كم والسلطان قضاء على حدود السعودية يبلغ عدد عوائلها حوالي ٥٠٠ عائلة ويبلغ تعدادهم حوالي ٢٩٣٦ فرداً يوجد في (السلطان) سجنان كبيران ومخفر للشرطة. وتوجد اليوم في المخفر عدة دوائر ومؤسسات وتم بناء سجون (نقرة السلطان) بين سنوات ١٩٢٦. ١٩٢٨.

أما السجن الثاني فتم انجازه سنة ١٩٨١. ومع نهاية البناء تم ملؤه بمواطنين الكرد. وتتكون عشائر السلطان من (آل زياد ، آل عيسى ، آل عليج ، آل جشعم ، آل عاجيم)

بشكل يتكون (السلطان) من هذه القبائل والعشائر.. وتوجد في (السلطان) مدرسة متوسطة مختلطة واحدة بالإضافة إلى مدرستين ابتدائيتين.. واحدة للبنات والأخرى للصبية. لا يوجد في السلطان تلفزيون أو تليفون.. وليس فيها طبيب رغم وجود مستوصف.

وأغلب أهالي السلطان يعملون في سلك الشرطة. بعد تشكيل دولة العراق الجديدة. وهذا السلك (الشرطة) تناقلوه بالوراثة من الآباء والأجداد منذ العهد الملكي. ولا توجد فيها كهرباء بل يستخدمون المولدات... والقضاء بعيد عن جميع الخدمات. يتبع القضاء ناحية واحدة فقط وهي (بوسية) ويوجد في (بوسية) أكثر من (١٥) مقبرة جماعية.

ويقول مواطن فيهم (منذ أن أوجدنا الله نعمل في سلك الشرطة) وقبل زيارتنا القضاء. زرنا القلعة. وبعد القلعة ٥ كم عن القضاء. والقلعة مبنية

على مكان مرتفع على عكس القضاء الواقع في وادي منخفض لا يمكن لك رؤيته الا بعد أن تصل اليه.

وكلما اقترب من القلعة زدت خوفاً وقلقاً انها قلعة كالعفاريت التي في القصص والحكايات الكردية وفي الصحراء..

على الرغم من أني لم أر (باستيل) لكنها كبيرة مثل قلعة (باستيل) وهي غليظة وقوية ومقفلة كالباستيل انها تشبه القلاع الشرقية التي تستعمل للقتال.

وبدأت بتصويرها عن بعد. وكلما اقتربت منها هي كبرت وأنت تصغر. وقفت وسط الباب.. وقلت للأخ منصور أن يصورني. وأحسست بأنها (حوت) تريد أن تبلعني

إذن هذا المكان هو ذلك المكان الذي حدثنا عنه الشيوخ والعجائز الناجون منها من الكرد.

إذن هذا هو المكان الذي كلما تحدثنا عنه تقول نساؤنا المحتشمات بالسواد: (لا تذكر اسمها.. كي لا نتذكر الألم والعذاب والجوع والعطش والخوف...) فنحن نعرف الكثير والكثير من القصص والحكايات الواقعية المرة والمؤلة عن هذا المكان .. نعرف بأن هناك تم اغتصاب أكثر بنات الكرد الجميلات ومن ثم أعادوهن مجنونات إلى هذه القاعات وبعدها فقدن الحياة خجلاً. وتم رمي جثثهن للكلاب السود. وكتبوا على جثثهن (ماتت بسبب توقف الدورة الدموية).

وهناك الكثير من القصص الحية التي نفذها جلاوزة النظام ضد فتيات الكرد. نحن الآن في (قلعة السلطان) او (قلعة الموت) وتسع لأكثر من عشرة آلاف سجين وهي دائرية الشكل على هيئة قلعة (سوسي) ولكن أكبر منها.

وقلعة السلطان ذات طابقين فيها العشرات من القاعات والصالات والغرف. وقبل الكتابة عنها أريد أن أبين لكم بأن القلعة مبنية بشكل لا يمكن لأحد الهروب والنجاة منها فهي مبنية على تلة عالية وتحيط بجهاتها الأربع صحراء قاحلة... ولا يمكن لك رؤية شيء آخر غير الصحراء وقبل الوصول إلى السور الضخم للقلعة كانت

هناك (أسلاك شائكة) كثيرة ، وتبعد الأسلاك عن السور حوالي ١٠٠متر وفي زوايا الأسلاك توجد نقاط أو غرف للحراسة.

وسور القلعة عالٍ جداً، ولها ثلاثة مداخل أو أبواب بحيث جميع أنواع السيارات يمكن لها الدخول منها. وفوقها عشرات من نقاط الحراسة وعندما تدخل السور تحس أنك في جهنم حقيقية ولايمكن لك بساعات أو أيام أن تكتشف أسرار الغرف والقاعات الكثيرة. وفي قناعاتي قد تستطيع في ٤ أيام أن تكتشف أكثر الأماكن والغرف، وعند دخولك أية غرفة تجد نوعين من الكتابة نوعاً مليئاً بالبراءة والمظلومية وآخر مليئاً بالتهديد والوعيد الذي يعود بنا إلى زمن الخطيئة وأن الإنسان متهم.

وتجولنا في عشرات الغرف صعوداً ونزولاً. وأحياناً ندخل مداخل لا مخرج منها فنضطر إلى العودة ثانية كنا ننظر إلى عظمة بناء تلك القلعة المبنية للأبرياء والعزل. وهناك قاعات خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال . والمراحض موزعة بينهم وهناك أماكن تعذيب خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال.

(يارب هذا جهنم). في مكان مكتوب عاش الشعب ونحن نرى الشعب مذبحاً في أيدي جلادين .

ومكتوب «السلام لشعبنا البطل» وهناك تراودني قصة عودة «عاصي» من الأسر ويريد أن يعرف مصير عائلته .

فتتم أجابته «زوجتك وعائلتك وأطفالك فقدوا في عمليات الأنفال» وهناك أنواع الكتابات والشعارات منها استهزاء بالشعب الكردي وهذه الشعارات تحمل معاني التهديد والوعيد ضد شعبنا .

فالجلادون منفذون كل ما قال القائد. قالوا (أمرك سيدي أمرك سنعلن سلف سلفاهم) ولا ترى على الجدران فقط تهديداً للكردي بل شعارات تهدد كل العالم. فيهددون (أمريكا وبريطانيا وإيران وإسرائيل).

وفي القلعة لا يمكن أن تجد صاحبك إلا بواسطة (النداء بصوت عال). تلك القلعة مبنية من صخور كبيرة جداً. ولها ثلاث بوابات فدخلت من بوابة

وخرجت من الأخرى فأصبحت بدوار بحيث لم أفرق بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب..

وهذا تحدث كل من «منيف والحاج عبد» عن القلعة وان أهل السلطان يسمونها قلعة «المليون» لأن تكاليف بنائها بلغت مليون دينار عراقي حينها أي سنة ١٩٨١ وهذا المبلغ يعادل آنذاك «ثلاثة ملايين دولار» ونحن نتخيل بعض الناجين منها من أولئك الذين كان يحدثوننا دوماً عن تلك القلعة وعن الظلم والعذاب والاغتصاب والماء المالح والحر ونحن نتخيل أولئك الذين ماتوا جوعاً هنا... نتخيل ذلك الشيخ الذي حتى لحظة خروج روحه يتلفظ لفظة (لا إله إلا الله) والجلادون يضحكون حوله.

أو صورة تلك «الفتاة» التي قالت للجلادين «خاطر الله» وفي الجواب قالوا «الله مجاز» وقالت خاطر محمد «محمد بمكة» واثناء أقوال منيف والحاج عبد فإذا بأرنب يركض بسرعة. ولا أدري هل توجد أرنب في صحراء.. أم تواجدت بسبب قربها من السلطان.

وحوت القلعة على البسة وأحذية تعود لنساء الكرد. وكل من «آريان ومنصور» كأنهم يعدّون الغرف والشبابيك بكثرة دورانهم...

وكانت هناك شجرة في تلك الغربة كأنها بقيت للذكرى. وذكرتني تلك الشجرة بأغنية (الشجرة الوحيدة).

أخيراً تجمعنا للعودة... وقررنا أن نعود مرة ثانية ونمضي الليل هنا..

والأخ منصور قال لو عدت سأبقى ليلتين لأن منذ سنة ١٩٨١ - ١٩٩١ وهذه القلعة تحوي سجناء الكرد . ليلاً ونهاراً . إذن لماذا لا أبقى ليلتين.

ومن يدري لعنا في الليل نسمع أصوات أرواح المُنْظَلِينَ ففي أثناء تجوالي في تلك الغرف كنت أقول في نفسي، الآن أو بعد حين سألتقي بأحد الضحايا ونحضن بعضنا بقوة.

وكلما كنت وحيداً وأصمت للحظات هناك كنت أسمع صراخ وادعية فتيات الكرد

كنت أسمع بكاء طفل كوردي يطلب ثوباً للعيد ... أو لعبة للعيد وكنت أقول في النهاية

(كلنا سنجن هنا) .

من السلطان إلى المقابر الجماعية

قلعة السلطان مع ماتحملة هذه التسمية من مصائب وآلام وجراح وويل ومع كل تلك الاستهزاءات والاستهتارات هناك بحق الشعب الكردي نستطيع أن نطلق على (قلعة السلطان) (محطة الانتظار) قبل الموت.

فكل من اعتقل في القلعة. تم إعدامهم ورميهم بالرصاص على شكل دفعات متتالية. ثم دفنوا في مقابر جماعية في الصحراء. وكل من وصل هناك في أي وقت وزمان كان يقول (المكان لم يكن خالياً... وكان قبلنا آخرون معتقلين في هذه السجون).

ولأنني صحفي وقمت بعدة لقاءات مع عدد من المؤنفلين العائدين من السلطان.. فدوماً سمعت منهم هذه الأجابة وهي (حينما وصلنا إلى القلعة والمعتقل وجدنا في السجون ملابس وطعام وأشياء تعود لمعتقلين آخرين قبلنا).

ومن هنا وصلنا إلى تلك القناعة بأن هؤلاء المعتقلين كانوا في محطة بانتظار الموت والبعض الذي تم العفو عنه فكانوا طاعنين في السن.. وقد يكون العفو عن هؤلاء من أكبر أخطاء النظام وجهله . وهؤلاء العائدون تحدثوا لنا عن هذه المحطة والناجون من محطة الموت (السلطان) قد يكونون نجوا بصدفة (وهذه الزيادة في أعمارهم) ومع الأسف كثير من هؤلاء العائدين ماتوا بعد أيام من عودتهم لما لاقوه من مصائب وأمراض هناك....

والناجون تحدثوا لنا عن ما لاقوه من العذاب وكيف كان يموت منهم يومياً أعداد كبيرة.... ولكن وللأسف ليست لدينا إحصائية عن تلك الأعداد التي ماتت هناك.

وتحدث لنا أحد المؤنفلين العائدين من نقرة السلطان وهو يقطن «مدينة شورش» وفي محلة (بيريادي) وبقي هناك حوالي (٦) أشهر حيث قال: دونا أسماء ١٣٦٠ ضحية

ماتوا هناك . مع تدوين أعمار الضحايا..

لكن بعد خروجه من المعتقل قام أحد (الفرسان) (الجحوش) بتهديده.. إذا لم يعطه هذه القوائم والأسماء المسجلة.. سيقوم بتسليمه إلى سلطات الأمن وخوفاً من التهديد أعطاه القائمة.

وقد حصلنا نحن على قائمة لـ (٩٣) اسماً ماتوا هناك تحت التعذيب والعطش والجوع والحر الشديد وقد كتب في السجل بأنهم (توفوا بسبب توقف الدورة الدموية).

وهذه القائمة بـ (٩٣) غيظ من فيض من الضحايا الذين توفوا هناك وبعض الضحايا تمت عليهم تجارب مخبرية.. أو ماتوا لأسباب أخرى لانعرفها نحن وفي تلك المعتقلات بين فترة وأخرى كانوا يسحبون من هؤلاء المعتقلين الدماء لأسباب واهية فمرة لجرحى فلسطين ومرة أخرى لجرحى الحرب العراقية الإيرانية التي دامت أكثر من ثمانية أعوام... الخ وأغلب العائدين من محطة انتظار الموت لم يتصوروا أن يعودوا وينجوا رغم أنهم كانوا في المعتقلات سوية. حيث كانت لفة التسامح والرافة والشفقة سمة تعم معاملتهم اليومية لأنهم في انتظار الموت.

وذات مرة حصلت منظمة (هيومان رايتس ووج) على جواب لأحد المؤنفلين بالشكل الآتي (تلك كانت جهنم التي رأيناها) فلهذا الجواب عدة أوجه.

فوجهه الداخلي عبارة عن عودة ونجاة عدد من المؤنفلين المساقين إلى حفرة الموت. أحد العائدين يقول (عندما أرادوا أن يفرقوا طفلي عني فأنا وبناتي وأطفالي الآخرين رمينا أنفسنا على الطفل كي لا يأخذه) ولكنهم أخذوه... وبعدها ما رأيت ابني أبداً. بعد بقائنا في القلعة. كانوا يومياً يأخذون أعداداً إلى تلك المقابر وقد استمرت هذه الحالة من الإعدامات اليومية ضد المؤنفلين خمسة أشهر . حيث بدأت من الشهر الرابع وانتهت في الشهر التاسع من سنة ١٩٨٨ ومن ثم يملؤون القلعة يأتون بهم من كركوك من سجون (دبس وطوبزاوة وأماكن أخرى) .

وكان في تلك الفترة جلال وهو وحش القلعة يدعى (عجاج) وكل العائدين من الكرد حينما يذكرون (عجاج أو حجاج) يذكرونه مع كلابه السود فالعائدون يقولون (حجاج

«عجاج» والكلب الأسود) وهذا الرجل يحب التعذيب والقتل وإراقة الدماء وكان يعدم فردياً وجماعياً يومياً.

وكانت لعجاج حفر خاصة قريبة لرمي الضحايا وأغلب تلك المقابر والحفر موجودة في (الساوة والبوسية والسلمان) وكل هذه المقابر ترتبط بالقلعة لأنهم أخذوا من هناك وكل الروايات تثبت صحة ذلك..

فبعض من اخواننا العرب كانوا يقولون لنا (لاطائل من البحث عن المقابر في أماكن أخرى) وكنا دائماً نصل إلى تلك القنعة بأن جميع الكرد مدفونون هنا من البارزانيين والفيليين والمؤنفليين ولكن حينما كنا نجد ضحايا وقبوراً في مناطق متفرقة أخرى . فعندها نقول بأن هناك محطات أخرى لانتظار الموت عدا محطة قلعة السلمان وأنواع الطرق المستخدمة في قتل الضحايا ونوعية السلاح والعملية وكيفية أخذ الضحايا وواسطة النقل واعداد الجلادين ومعلومات كثيرة أخرى لها علاقة بتأسيس محكمة خاصة.. تحكم وتحاكم المجرمين وتستطيع تلك المحكمة أن تضع كثيراً تحت المساءلة ممن لهم علاقة بعمليات الأنفال ونحن نعرف فقط أنهم أخذوا من قلعة السلمان إلى مقابر الموت. ولا ندري ماذا حصل قبل وبعد ذلك.

فهناك من الأسئلة بحاجة إلى أجوبة حقيقية وصحيحة ولا يمكن أن تبقى تلك الأسئلة نهائياً بدون أجوبة أو تكون معلقة إلى الأبد في الوقت الذي يريد فيه أصحاب القرار من ساستنا أن يحتفظوا بهويتهم العراقية فيقاؤهم كعراقيين يوجب عليهم حتمية الأجوبة عن كل تلك الأسئلة.

فالمجتمع العراقي قادر على إعادة صدام آخر وينتج حزب بعث آخر فلو أننا قرأنا كتابات الأستاذ (علي الوردي) فبدون أدنى شك سنقول (نعم). المجتمع العراقي قادر على انتاج صدام وبعث آخر.

إذن من حق الشعب الكردي أن يخاف من التعايش وهذا السؤال يطرح نفسه عدة مرات على صفحات هذا الكتاب.

على جدران قلعة السلطان، منقوش عليها/سنين وتاريخ

من الأشياء الهامة التي توقفنا عندها كثيراً هي تلك الذكريات المكتوبة على جدران السجون ، مع علمنا ان أكثر المؤنفلين في تلك السجون كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، مع ذلك يمكن أن نرى ونلاحظ كتابات لذكريات أيام المعتقل على الجدران. وللتعرف على كل تلك الكتابات في كل المعتقلات يحتاج المرء إلى عدة أشهر يبقى هناك كي يجمع كل تلك الذكريات . وهذا العمل بحاجة إلى جهد وتعب كبير ومتواصل وتحت كلمة (ذكرى) المنقوشة على جدار احد المعتقلات وهي منقوشة كالآتي:

١٩٨١/١٠

١٩٨٢/١٢/٦

١٩٨٣/١٢/٩

١٩٨٤/٨/

١٩٨٥/٨/

١٩٨٦/٧/

١٩٨٨/٤

١٩٨٩/٩/٥

١٩٩٠/١

ودوّنت سنة أخرى مرتين. عدا سنة ١٩٨٨ وفي الحقيقة لم استطع معرفة تلك السنة المدونة مرتين.

واحد اصدهائي من الجنود الكرد المشاركين في حرب الكويت قال لي: (في عادن هناك كتابات وذكريات كثيرة منقوشة على الجدران.. باللغة الكردية).

وقد دوّنت فتاة كردية ماياتي (نحن موقوفون ولا ندرى مصيرنا غداً) ونحن لم نستطع الوصول إلى (عادن) بسبب الحر الشديد وعدة أسباب أخرى ، واغلبية سكان

المنطقة هناك قالوا لنا لمثل هذا العمل يجب أن تستخدموا طائرة (هليكوبتر).
وفي مرات قادمة نستطيع أن ندون كل الذكريات ونرسمها بواسطة (هيلكار) قديم،
ويجب أن نحافظ على كل تلك الصور ويشاهدها الأبناء لتبقى في أذهانهم إلى الأبد.
يا ترى كيف كان حال ذلك الشخص الذي انتظر كل تلك السنوات المدونة آنفاً؟
بماذا كان يشد عزمه؟ كيف انتظر كل تلك السنين؟ بماذا كان يفرح نفسه بالخروج
من السجن؟ كيف كتب كل تلك السنوات؟

كل هذا له دلالات عميقة لنا. فكم انتظر هذا الرجل لينعم بالحرية؟ ويطير
بجناحين منها؟

ويجب أن أقول في كل عوايق سجون السلمان وأمام كل تلك الشعارات البراقة للبعث
وعند قراءة ذكريات المؤنظفين في الصحراء وداخل القلعة، في كل هذا كنت شاكاً أنا
بهويتي العراقية وانتمائي للعراق..

هأنذا منذ سنة ١٩٨٨ جنسيتي العراقية تعرف بالأنفال والكيماوي، إذن فلماذا هذه
المعركة من أجل عراقيتنا؟

وانا لم أكن عراقياً أبداً .. فبالقوة الصقوني بهذا العراق وتحت مظلة هذا العراق
فقدت هويتي .

توجد في مئات الأماكن أسماء مدونة على الجدران . فمثلاً هناك اسم (احمد غلام
كردي) قد يكون هذا المسكين من الكرد الفيليين، دون اسمه مرتين مرة بالكردية
ومرة احمد غلام كردي وبخط مترنج.

وهناك أسماء كثيرة مكتوبة هنا وهناك وفي زاوية مكتوبة (آخ يادنيا).. وأنا في رأيي
هذه الـ(آخ دنيا) تختلف عن المئات من (آخات الدنيا) الأخرى... لأن هذه تحمل معاني
كثيرة وكبيرة فهذا السجين كان أمام دنيا صماء وخرساء وعمياء.

هذه الدنيا التي لاتسمع أنين وصراخ قومية مظلومة منذ تواجدتها على هذه
الأرض تنال الظلم والاضطهاد . ويجب علينا جميعاً أن نتضامن نحن الكورد مع صوت
ذلك السجين الذي لايدري أهله مصيره وفي أية مقبرة جماعية تم دفن أشلائه. ويجب

ان نبصق على هذه الدنيا التي تستحق منا البصاق.
ونحن لا نبقى كثيراً هنا كي نجمع كل تلك الكتابات مجموعة سميت او اطلقت على
نفسها (زيارة جهنم).

ذهبت إلى هناك، وقد استمعت اليهم وقررات تدويناتهم على أوراق الصحف، وكان
من المقرر أن أكون أنا معهم في تلك الرحلة لكن وفاة (والدي) حالت دون ذلك، ويجدر
بي هنا التحدث عن وفاة والدي.

ومجموعة (زيارة جهنم) حينما عادت من قلعة سلمان قالوا لنا كان مكتوباً على
جدران إحدى الزنانات الشعر الآتي بالكردية:

ذات مرة مررت بمقبرة
سمعت بأذني حرارة بكاء
رايت عظمة تحت الثرى... تقول....

أين لذة هذه الدنيا....؟

وحينما تذهب أنت إلى هناك تشاهد وترى كل الكرد معلقين على جدران قلعة
السلمان. فإذا كانت مدن السليمانية وكركوك وهولير جزءاً مهماً من تاريخنا. فكذلك
قضاء السلمان. جزء من هذا التاريخ. فجدران قلعة السلمان (صحف لهذا التاريخ... ذلك
التاريخ الذي يجب ان لا ننساه أبداً).

كلاب الصحراء السوداء

كل العائدين من نقرة السلطان تحدثوا عن الكلاب السود في الصحراء ... ونحن حينما رجعنا من الصحراء تحدثنا عن تلك الكلاب السود أو الكلب الأسود . وهذه الكلاب تحدث عنها شيوخ وعجائز الكرد العائدون من نقرة السلطان.

وهذه الكلاب هي أفضل وأعز أصدقاء (عجاج أو حجاج) وكانت الكلاب متعاقدة مع جلادي البعث في عمل مشترك... ولكن بوجبات متتالية ومتعاقبة.. فالمعتقلون حينما كانوا على قيد الحياة كانوا يصرخون ويعذبون ويتألون بضربات (عجاج) والجلادين.

وحينما كانوا يفارقون الحياة كان يأتي دور تلك الكلاب لتنتشل من جسد تلك الجنة .. ولا تتركوها ترتاح حتى في موتها...

والمعاهدة أو البروتوكول الموقع بين العجاج والكلاب السود هي الاستهزاء والاهانة والاستهتار بالشخصية الكردية في حياتها وبعد موتها هناك في الصحراء كل الكلاب أو أغلبها سوداء، أنا لا أعرف هل الطبيعة صبغت بهذا اللون؟ أم كارثة الأنفال خلقت هذا الشيء بين العجاج والكلاب السوداء.

وهناك أسطورة تقول: (من ذلك اليوم الذي اتهم فيه الذئب بأكل يوسف. فالذئب حرم على نفسها أكل لحوم البشر).

أما أسطورة الأنفال فتقول: (من ذلك اليوم الذي أبرمت فيه الاتفاقية بين العجاج والكلاب السود بالتوقيع على قتل الكرد. فالله تعالى جعل كل الكلاب سوداء).

والأسطورة تقول أيضاً: (إنها أدعية النساء وعجائز الكرد التي فعلتها وجعلت الكلاب سوداء)

ولكن الله تعالى وقف مندهشاً ينظر إلى كلتا يديه اللتين خلقتا عجاج المجرم. وتوقف

الباري يراجع قوله الذي يقول: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)*
تقول العجوز (مهروبة يوسف) التي تسكن مدينة (شورش) وكانت معتقلة في نفرة
السلطان كانوا لا يعطوننا أي شيء، لا خبز ولا ماء. وكل يوم يموت منا أكثر من عشرين
شخصاً لتصبح وجبة شهية للكلاب السوداء.
ولقد تحدث عن الكلب الأسود كل العائدين من (السلطان) وكان الجميع يشاهدون
عظام ولحوم الضحايا في فم الكلاب
وتقول (سلمى عزيز بابا) (شاهدت جثة أبني في فم وتحت أنياب الكلب الأسود
وكانوا لا يسمحون لنا بدفن الضحايا لتأكلها الكلاب.
وأخيراً وفي النهاية سمحوا لنا بدفن الضحايا.. ولكن كان يجب علينا دفنها في مكان
خاص لا يساعد على الحفر لأن كلما قمنا بحفرها فهي تنهمر ثانية.. وأخيراً كانت
الكلاب تنال من الجثة.. لأن المكان كان غير صالح للدفن).
ونحن في السلطان شاهدنا تلك الكلاب السوداء. غامقة في السواد وأتصور أن تكون
طبيعة المنطقة تساعد على ذلك فليست هناك علاقة بين قصة يوسف والذئاب التي
طوقت بأطواق سوداء على رقابها. في الحقيقة ما كرهت يوماً من الأيام الكلاب أبداً..
حتى عند سماعي لقصص تلك الكلاب من نساء مدينة شورش العائدات من سجون
نفرة السلطان ولكن عند مشاهدتي تلك الكلاب هناك فقد كرهت الكلاب كثيراً ولا
أدري لماذا قمت في منطقة (بوسية) برمي كلب أسود بالحجارة. وعلى مرأى من الناس
لا أدري.

ثورة الرمال

توقفنا كثيراً عند الصحراء. فتحدثنا عن قحل الصحراء وغضب الصحراء.. وعن قلب الصحراء. وأشياء كثيرة أخرى. في اليوم الذي قررنا فيه الرحلة إلى (بوسية) فقالوا لنا بعد الخروج من (السلمان) يجب أن نسير مسافة أكثر من (١٠٠) كم في عمق الصحراء وفي طريق من الرمال ورافقنا في تلك الرحلة رجل كردي هادئ الطبع وموزون جداً ألا وهو الدكتور (محمد أحسان) وزير حقوق الإنسان في (هولير) وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في السياسة الدولية..

وكان يبحث عن رفاة الضحايا من الكرد البارزانيين الذين أبادتهم الحكومة العراقية بثلاث مراحل في سنة ١٩٨٣.

حيث اعتقلوا جميع رجال (قوشتبة وحريير وديانة وبحركة) ودفنوه في حفرة الموت (المقابر الجماعية).

وكان الدكتور من خلال كلامه حاملاً هموم حقوق الإنسان عموماً وكان متأثراً جداً بعمليات الأنفال الوحشية.... وقبل أن اتكلم أكثر عن الدكتور (محمد) ومصابنا يجب أن نتطرق إلى أنفال البارزانيين قليلاً. فالبارزانيون بعد ثورة أيلول تم حجزهم في مجمعات... ويمكن أن نسمي تلك المجمعات بالمجمعات القسرية.

حيث قامت قوات الحرس الوطني البعثي بمحاصرة مدينة (قوشتبة) من أربع جهات وفي ٣١ تموز سنة ١٩٨٣ اعتقلوا كل الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين (١٢ - ٧٠) سنة أخذوهم إلى أخاديد الموت وفي يوم ١٠/آب/١٩٨٣ تمت محاصرة المجمعات الثلاثة الأخرى فاعتقلوا الجميع .

وفي الأول من تشرين الثاني سنة ١٩٨٣ قاموا بتفتيش منظم ودقيق أكثر من الأول وتم اعتقال ما تبقى من ذكور المجمعات الأربعة الأخرى .. وقتلهم ودفنهم في مقابر جماعية.

واعتقد انه أن البارزانيين مدفونون في (بوسية) فبعض من الشهود أكدوا لنا ذلك. ولا اعتقد تم الذهاب بهم إلى نقرة السلطان. لأن ليست هناك أدلة على ذلك أو تم قتلهم بعد المجيء بهم من (قوشتبة).

والدكتور (محمد) كان هناك خصيصاً لمعرفة مصير البارزانيين وكنا مسرورين بتواجد رجل مثل شخصية الدكتور خصوصاً بعد أن اتفقنا على توحيد العمل والجهود.. وقد شجعنا وشكرنا كثيراً على مجهودنا نحن في وزارة حقوق الإنسان في السلطانية.

و ذات مرة قال لي: (أنا أحب كل صحفي نشط مثلك وأتمنى أن أراك لاحقاً) وفي طريقنا إلى (بوسية) زرنا مرة أخرى المقابر الجماعية في (ضبي) الذي ضم رفاة عائلة (تيمور) وتوجهنا إلى (السلطان) ثم وصلنا إلى (بوسية).

وقد ضمت رحلتنا ثلاث سيارات... اثنتان من نوعية اللاندكروز وأخرى سيارة بيك اب دبيل وقبل خروجنا عن الشارع الرئيس بين السلطان وبوسية تعطلت سيارتنا اللاندكروز.. فاضطررنا أنا وكاك منصور في الاستمرار لأداء مهمتنا أن نصعد خلف السيارة البيك اب ومن هنا بدأت ثورة الرمال.... فقمنا بشد أعيننا لأكثر من ١٠٠ كم في وسط الصحراء... مع أمواج الرمال المتصاعدة ولهب حرارة الصحراء.. وعرفلات سيارة البيك اب... كنا في معركة مع هذه الأجواء إلى اللحظة التي شارفت السيارة على الاحتراق... وكادت الرمال أن تتيهنا في أعماق الصحراء..

وأكثر من مرة كدنا نتيه في الصحراء لأن الرمال المتصاعدة اظلتنا فأكثر من عشر مرات دارت معنا هذه الدائرة.. وتركنا صديقاً مع سيارتنا العاطلة.

وعندما رجعنا عند الغروب.. وجدنا صديقنا عند السيارة العاطلة.. فقمنا بسحب السيارة العاطلة بواسطة سيارة الدكتور (محمد) إلى السلطان. أكرر مرة ثانية أن الدكتور (محمد) رجل فريد من نوعه لأنه كان يراعيها حتى عند شربه الماء... وأنت في الصحراء يجب عليك ادراك ذلك .

العويليون

تحدثنا كثيراً في الطريق عن الصحراء والحياة فيها وكوارث الصحراء. وعلى جدران قلعة السلطان مكتوب (أهلاً بكم في جهنم). في ذلك المكان يجب علينا أن ننطق دوماً هذه الجملة. وشاهدنا في الصحراء فتيات جميلات فارعات الطول سود العيون. وتتواجد في الصحراء قبيلة (العويلية) بين يوسية والسلطان... وكلما تحدثت عنهم تذكرت (الهنود الحمر) أولئك الذين حاولوا كثيراً بقاء بيئتهم نظيفة وجميلة. فهم قاتلوا في سبيل ذلك على مر التاريخ. ولكن في النهاية توصل الأمريكيون الجدد إلى كل مكان من هذا العالم... حتى صعدوا إلى السماء.

حينما كنا نعبّر الأماكن التي يتواجد فيها (العويليون) ولا أدري من أين أتت هذه التسمية.. هل من رقصات الهنود الحمر؟ في الطريق كنت أتخيل تخيلات عجيبة وغريبة كنت أتمنى حينها أن يخطفوني.. حيث كان أصدقائي يتحدثون عن عمليات السطو والنهب لهؤلاء... وكانوا يقولون عنهم (إن الحكومة لا تقدر عليهم حينها وأصدقائي العرب كانوا يخافون أكثر منا من أولئك).

فهم يتحدثون عن شجاعة هؤلاء في القتال وفي مقارعة الصحراء.... وأنا كصحفي كنت أتمنى أن يخطفونا.

كنت أريد أن أعرف المزيد عن حياتهم وطريقة عيشهم وحياتهم.. عن معاملاتهم وعن أخلاقهم كنت أتمنى أن أرى نساءهم هل هن جميلات أم لا؟ كانت سيارتنا سريعة جداً وذلك خوفاً من العويليين وعيناي دائماً تنظر إلى الطريق.

وأخيراً كنا محظوظين لأنهم لم يعترضوا طريقنا. والعويليون جزء من عشيرة الجبور الكبيرة وينتمون إلى المذهب الشيعي.

الصحراء .. مزرعة زهور النرجس ..

قبل سنة أو سنتين من كتابة هذه الذكريات المرة كتبت قصة حينها وصورت الصحراء بأنها مزرعة زهور النرجس لوجود رفاة الضحايا فيها وكنت سعيداً حينها بهذه القصة..

وانا في الصحراء تذكرت واقع تلك القصة ومشاهدها وفكرت فيها بامعان. وفي الصحراء كان حدسي يخاطبني. الآن أو بعد قليل ستخرج زهرة النرجس من مكان ما في هذه الصحراء وكنت أبحث شيئاً فشيئاً عن النرجس.. واثناء البحث كنت أتصور نفسي مجنوناً وأحياناً كنت أجيب نفسي بشاعرية.. قد يأتي ذلك اليوم الذي تزرع فيه الصحراء بزهور النرجس...

وزهور نرجس الصحراء هم كل أولئك الذين أرغموا على طمس هويتهم العراقية في الصحراء وهم من البشر المنتمين إلى هذه الإنسانية..

وحينما أترك تلك التخيلات. وأرى رفاة الضحايا وأتذكر جنسيتهم... فأقول حينها: (يجب علينا نحن أن نتبرأ من عراقيتنا. ولا يمكن لنا أن نلتزم بالعراق أبداً.. فالهوية العراقية عبارة عن كذبة ولعبة كبيرة لا غير . هذه الهوية التي أصدر قانونها في ٢٢/ آب/ ١٩٢٢ ومن يومها يتم قتل وسحق واعدام الكرد تحت مسميات وهمية، إذن العراقية؟ للأكراد هي كذبة وخدعة فقط.

في هذه الأثناء وأنا مشغول بكتابة هذه الأسطر وهويتي الشخصية مكتوب عليها صادرة بموجب قانون الأحوال المدنية رقم ٦٥ لسنة ١٩٢٢.

وفي الأعلى مكتوب (جمهورية العراق) وكل هذه الكتابات عبارة عن أكاذيب كبيرة فحسب وهذه الهوية التي تدعى (بالجنسية) لا تربطني بهذا العراق.

هذا العراق الذي أراد على مر الزمن أن يمسخني من خريطة العالم ومن الوجود

وكل هؤلاء الضحايا من زهور النرجس يحملون هذه الجنسية.
ونحن وجدنا عدداً من تلك الهويات وفي كل مرة حينما آتي إلى الصحراء .. فعند
العودة سأحمل معي من ورود النرجس هذه قدر المستطاع.
فالنرجس هي الوصف الوحيد لرفقة ضحاينا غير المدللين فهذه الزهور انتظرت
سنيًا لتري وتشاهد ربيعاً من الحرية.
وإذا كان باستطاعتي ومقدوري أن أجمع كل زهور النرجس في هذه الدنيا وأزرعها
بجانب الضحايا في الصحراء وأملأ الصحراء برائحة زهرة النرجس لفعلت.

مناطق جراحاتنا

عند تنقيبنا عن رفاة الضحايا قمنا بزيارات جماعية لعدة مناطق. وسأقف باختصار على هذه المناطق رغم تحدثي عنها مسبقاً. هذه المناطق والأماكن هي (مناطق جراحاتنا) أماكن رفاة ضحايانا وأحبائنا وأحبابنا.

مهما نتكلم عنهم فكلما نزر. ويجب أن نعلم أن المناطق التي زرناها ليست هي كل تلك المناطق التي تتواجد فيها رفاة الكرد.

والأماكن أكثر بكثير من تلك المناطق التي قمنا بزيارتها، فنحن زرنا (كربلاء مقبرة الحيدرية الجماعية، البصرة، العمارة، البوسية، السلطان، فجر، مقابر زاهر الجماعية). كان تأريخ أول زيارة لنا في ٢٠٠٣/٥/٢٧ عندما توجهنا إلى كربلاء، مع جمعية حقوق الإنسان فرع كربلاء. زرنا المقابر الجماعية في الحيدرية منطقة (المزارع-الخط الثالث) فتكلم لنا أربعة شهود وهم:

١. كريم عطية حسن

٢. علي عبدالأمير

٣. عباس عاصي

٤. محمد عبدالواحد جوهر

وقد حصلنا على الساعات وهويات الأحوال المدنية في مقبرة الحيدرية الجماعية التي يبلغ طولها حوالي ٦٠ متراً وعرضها ٢٠ متراً وفي حدود محافظة كربلاء يوجد أكثر من (٣٢) مقبرة جماعية حسب معلومات جمعية حقوق الإنسان هناك.. فهناك مقابر جماعية كثيرة تعود للكرد ولكن لم نستطع معرفتها.

وفي تأريخ ٢٠٠٣/٥/٢٩ زرنا مدينة البصرة آملين أن نذهب من هناك إلى ناحية (الدير)، حيث قالوا إنها تحوي مقابر جماعية كثيرة تعود للكرد. لكن لظروف المنطقة

لم نستطع زيارتها.

بتأريخ ٢٠٠٢/٥/٣٠ زرنا المقابر الجماعية لضحايا سنة ١٩٩١ في البصرة ، فوجدنا البريطانيين قد احاطوها بالأسلاك الشائكة كي لا يستطيع أحد البحث والتنقيب دون برنامج خاص. (بسام محسن علي) المسؤول العام لحقوق الإنسان في الجنوب تحدث عن وجود عدة مقابر جماعية أخرى في المدينة. فمنها تقع تحت التماثيل ومنها تقع في الحي الصناعي وعند ذهابنا إلى تلك المقبرة القريبة من دور الإدارة. شاهدنا والددة إحدى الضحايا تبكي وتلطم الخدود وتسب الحكومة. وتشتتم البريطانيين الذين لا يسمحون لها ان تأخذ رفاة وعظام ابنها.

في ٢٠٠٢/٦/١٠ زرنا قرية (ظاهر) التابعة لناحية (الفجر) في محافظة الناصرية، هناك زرنا مقبرة جماعية تبعد حوالي (٩٥) كم عن محافظة-كوت-وتبعد عن (فجر) نحو الناصرية بـ ٣٥ كم وتقع على يسار النهر الثالث. الذي كان يسمى بنهر(القائد) مثل باقي كل الأشياء في هذا البلد سميت بأسم البعث وصدام. هناك تحدث لنا المواطن العراقي (صائب حسين الجادري) الذي كان عاملاً حينها في مشروع النهر الثالث سنة ١٩٨٨ حيث قال: (كانت هناك خمس سيارات او باصات كبيرة تحمل الناس إلى مقابر الموت. العمال يتحدثون أثناء حفر نفق المشروع عن وجود رفاة ضحايا تعود للكرد... لكن مهندس المشروع استدرك الموقف وغيّر مجرى النهر... وقام بإجلاء الرفاة والأشلاء وكان ذلك سنة ١٩٩٢).

أهالي قرية (ظاهر) التابعة لقبيلة(الرفيع) ورئيس عشيرتهم (شيخ فارس) قال: إن ضحايا هذه المقبرة الجماعية التي هي عبارة عن عدة تلال مرتفعة كرد. فمننا نحن بالتنقيب عن الضحايا. وأغلبهم من شباب الكرد الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ - ٣٠ سنة. كانوا يرتدون الزي الكردي.. وقد وجدنا بين الرفاة عدداً من (الكلبجات) وهذا دليل على أن الضحايا كانوا تحت مراقبة شديدة وتعذيب متواصل... وقد هرب ستة أشخاص من المقابر الجماعية وهذه عبارة عن معجزة. وأحد هؤلاء الستة هو الشهيد (حمه علي) من قرية (عليان الجديدة) والذي استشهد بعد ذلك في المعارك الداخلية

بين الفصائل الكردية.

والثاني هو (عزيز) و (عمر) و (ابراهيم) واخيراً (مصطفى) واعتقد ان هروب هؤلاء من المقابر الجماعية دفع الحكومة إلى اتخاذ إجراءات صارمة وحازمة مع المعتقلين .
في ٢٠٠٢/٦/١٦ توجهنا نحو (ناحية السلمان) وتحدثت كثيراً عن ذلك في هذا الكتاب.
لذلك لا أجد ضرورة في التكرار ثانية.

في ٢٠٠٢/٧/١٧ زرت صديقاً لي في (العمارة) ومن ثم توجهنا إلى مقبرة جماعية تضم رفاة (٢٥٠) امرأة وطفلاً كردياً في مقبرة (شهداء ثورة مايس ١٩٤١) . وهناك تحدث إلينا كل من:

١. كريم حبر كاظم

٢. سيد هاشم علكة جعفر

٣. ذنوبة احمد

حيث تحدث هؤلاء عن حوادث سنة ١٩٨٨ في مركز شرطة (العروبة)، حيث قاموا بجمع المعتقلين هناك ومن ثم أخذوهم إلى مناطق متفرقة لغرض الرمي والقتل. وقبل ذلك طلب أزالام النظام من سكان المنطقة من يرغب بالزواج من هؤلاء النساء الكرديات... لكن لم يكن أحد منهم مستعداً للزواج بهن هذا حسب أقوال أولئك الشهود.
في تاريخ ٢٠٠٢/٧/٨ قمنا بزيارة السماوة ثانية بصحبة الدكتور (محمد احسان) ووزرنا ناحية البوسية التي تبعد عن السماوة أكثر من ٤٠٠ كم، ويبلغ عدد سكانها قرابة ٦٠٠ شخص يقطنون حوالي ٦٠ داراً... وإذا تم تعدادهم مع (الرحالة) بلغ العدد الكلي تقريباً ٢٥٠٠ فرد.

لا تحيط بهذه الناحية من كل الجهات ولو شارع واحد واقرب شارع تبلغ المسافة بينه وبين الناحية ١٠٠ كم تقريباً وليس فيها مركز شرطة ولا (مدير ناحية) وهي بدون تيار كهربائي وهي تدعى ناحية (بالاسم فقط).

يبلغ عدد المقابر الجماعية فيها أكثر من عشر مقابر.

قال المواطن (صدام) في سنة ١٩٨٨ حين كنت طفلاً شاهدت خمسة باصات صفراء تحمل

معتقلين كردا في المنطقة، وقالوا سنأخذهم إلى الناصرية. وبعد أقل من ساعة عادت السيارات فارغة، فالأهالي عرفوا أن هؤلاء تم رميهم وقتلهم.

هذا المشهد سرده الشاهد (صدام) الذي كان يكره اسمه كثيراً وهو يستحي من هذه التسمية اليوم. واعتقد ان أولئك العدومين كانوا من مدينة (حلبجة).

عاد البعض منهم إلى المدينة بعد هروبه منها خوفاً من ظلم البعث وبعد عودتهم تم اعتقالهم لان العفو كان خدعة... هذا العفو لم ينجهم من الموت.

نهاية البداية الأولى

كانت هذه نهاية البداية الأولى لرحلتنا المرة والتي حاولنا فيها إيجاد رفاة وعظام أحبائنا... في الحقيقة هذه الرحلة علمتني أشياء كثيرة. مع حبي الشديد للعرب الشيعة. لأن الجميع كان ينظر إلينا بنظرة حب وود واحترام... وكانوا يدركون مدى مظلوميتنا.

مظلومون منذ قديم الأزمان يوم الحقنا جبراً وأكراهاً بهذا العراق سنة ١٩٣٦. الحقنا بهذا الوطن الذي لم يعطنا لحظة من الحرية ويجب أن لاننسى تلك الحقيقة أن في الشيعة أصواتاً وآراء مختلفة أيضاً. فأحد أولئك الأصدقاء كان يعتقد أن لفضة (كرديستان) هي (بدعة) وهنا أشياء كثيرة متبقية لم اتحدث عنها في تلك الرحلات أشياء كثيرة أدهشتني وحيرتني مثل مشاهدته في قضاء (حيّ) من أولئك الكرد الذين لا يجيدون كلمة واحدة من لغتهم الكردية. وكانوا يعشقون قومهم عشقاً صوفياً.. فهم كانوا يفتخرون بقوميتهم (الكردية) وكان يرغبون في أن يشاهدوا أنفسهم على خريطة كردستان.

وشاهدنا أشياء كثيرة وأخفينا أشياء كثيرة.. حيث سنتطرق إليها في حينها. مع ذلك كان هناك الكثير ممن يرغب في تعلم اللغة الكردية. وكثير من أولئك طلبوا منا إرسال معلمين اليهم ليتعلموا هم وأطفالهم اللغة الكردية

فأنا لا أنسى أبداً صاحب ذلك الكشك في البصرة، حيث كان ذلك الكشك مصدر رزقه وعائلته وكان يسميه (كاكا) ولا أنسى ذلك الرجل صاحب المطعم الذي لا يجيد كلمة كردية واحدة ويقول: أنا (كوردي) ولا تلك العائلة الكردية التي كانت تلج بشدة ببقائنا عندهم كانت تلك أول مرة في التأريخ يعيش فيها الكردي بحرية.. دون ترحيل أو توقيف أو سجن أو اعتقال أو قتل وأنفال.

وكان محالاً أن يزور كردي تلك المناطق دون مراقبة من جاسوس أو أحد ازام النظام.

ونحن عدا أولئك الكرد.. تعرفنا على عدد من العرب الأعزاء تعرفنا على أشخاص قد لا ننسأهم أبداً.

هذه أول رحلة كردية بحرية إلى جنوب العراق الذي تحكمه منذ أكثر من ٨٠ عاماً اقلية سنية صادرت كل الحريات وسيطرت على مرافق الحياة. أنا لا أدري كيف ستكون الرحلة القادمة؟ ولا أدري موقع الكرد بالنسبة للعراق الجديد؟

ولكنني قلق جداً لهذا الموضوع لأن الإنسان الكردي جريح ومظلوم على مر التاريخ . فلهؤلاء الحق بأن يعيشوا كباقى البشر..

فإذا كنا متفقين على أن هناك شيئاً اسمه (الحياة) فيجب أن تكون للجميع وبدون استثناء، حيث يكفيننا ظلماً وجوراً وقمعاً.

ومن هنا يجب أن نوصل هذه الحقائق إلى قومنا يجب أن نوصل تلك الصور في ملحقات هذا الكتاب الذي يحمل معاناتنا. فلهؤلاء الكرد عاشوا عبر التاريخ في الانتظار ينتظرون الحرية. ينتظرون عودة الفراشات البرية ينتظرون التاج والكرسي والحظ.

رؤوس أقلام

عدا الأسماء التي ذكرتها. هناك أسماء لا يمكن لنا تعديها.. فكل واحد من هؤلاء له علاقة من قريب أو من بعيد بالموضوع ..

وكل واحد من هؤلاء أو بعضهم (اليوم أو المستقبل) يمكن أن يكون له دور بارز في محاكمة مجرمي الحرب أو (الابادة الجماعية) ويجب أن لاننسى دور كل من هؤلاء. سنكتبها للتأريخ من أمثال (ان كلود و ساندرا و بيتر وماد) وآخرين التقينا بهم ولهم أهمية خاصة. ١. أن كلود: الأنسة آن كلود عضو برلمان بريطانيا ونائبة رئيس وزراء بريطانيا لحقوق الإنسان وقد أتت إلى كردستان رغم كل تلك المصاعب . والتقينا بها. إن هذه المرأة تعطي اهتماماً خاصاً بالقضية الكردية وحقوق الإنسان . وقد شاهدتها تذرف الدموع لمصائب الكرد.

وكلما سمعت اسم (صدام) تتغير ملامح وجهها وتغضب كثيراً. و (آن كلود) هذه حملت كوارثنا ومصائبنا إلى بلدان العالم خصوصاً أوصلت القضية إلى بريطانيا. وقد دافعت كثيراً عن الكرد. وقفت منجمدة حينما رأت ساعات الضحايا. وقد كانت تقول في نفسها (حقيقة ان هؤلاء القوم قلبهم من صخر ولا يعرفون معنى للخوف).

(هذه الكوارث والويلات التي تعرض لها الشعب الكردي لو مرت بها دولة غربية لذابت ومحت من الوجود) وفي جلسة استمرت لحظات طلبت منا أن نحفظ الوثائق ولا نعبث بها. فقد كانت تعرف أن نهضتنا السياسية هي نهضة تخريرية للأشياء. لهذا السبب طلبت منا ذلك. فإذا لم تكن كذلك ففي أي مكان يصبح الجلاذ مناظلاً والمناضل جلاذاً. أو يصبح الظالم بطلاً على الضحية والضحية تصبح جلاذاً فقاموسنا مليء بالدهشة. فمثلاً ان المستشارين من أمري الفرسان (الجحوش) الذين كانوا في الصفوف الأمامية لجيوش ازالام النظام خصوصاً أثناء عمليات الأنفال. صاروا اليوم مناضلين وثوريين.

وكذلك بعض من أشباه الكتاب الذين يجيدون شيئاً من الكتابة أصبحوا اليوم من مؤسسي (الكوردايه تي) وهم الوحيدون ممن حملوا هموم حلبجة والأنفال ونضالنا التاريخي. أن كلود قرأت هذا الواقع جيداً وتعرفت عليه، كانت تعلم جيداً لولم تكن تلك الرصاصات من قبل التحالف التي قتلت كلاً من (عدي وهصي) أولاد الدكتاتور.. فلو لم يقتلهم الحلفاء. فبعد عدة سنوات أخرى . سيصبحون عضواً في أحد الأحزاب العراقية الأخرى ويصبحون من أوائل المدافعين عن حقوق الإنسان .

على الرغم من ملاحظتي عن بريطانيا وأمريكا والغرب. لأن مصائب قومنا هم أسبابها . لكن مع ذلك أحببت هذه الأنسة من الأعماق .. ولا أدري من أين نبعت هذه المحبة ؟

٢. بيتر بيك هيرت: وهو من المعروفين في منظمة مراقبة (حقوق الإنسان) رجل لطيف وحلو الكلام... جلس معنا طويلاً وأرشدنا إلى كيفية المعاملة مع المقابر الجماعية. وقد قال لنا: (لا يمكن انجاز مثل هذه التنقيبات دون وجود اخصائيين في هذا المجال) وقد كان منزجاً كثيراً لتنقيباتنا العشوائية في المقابر الجماعية. وكان يعتقد ان هذه العمليات العشوائية من الحضر هي تعذيب جديد للضحايا مرة أخرى.

وقد اعطانا معلومات على القبور الجماعية في بوسنة ونصحننا بالصبر والهدوء خصوصاً عند رفع العظام والرفاة. مع ذلك كان متأكداً من ان ازام النظام لم يتركوا مكاناً في العراق إلا وزرعوه بمقبرة جماعية. بحيث تتوقف امامها كل التكنولوجيا وتنقيبات المقابر الجماعية وبيتر لخص كلامه في ثلاث نقاط:

١. البحث الدقيق والمتواصل في كل أنحاء العراق لإيجاد جميع المقابر الجماعية المنتشرة في أنحاء العراق.

٢. دعوة الاخصائيين والفنيين في هذا المجال خصوصاً عند حمل الرفاة والعظام.

٣. جلب كل الأجهزة المتعلقة بذلك خصوصاً المتعلقة بكيفية البحث وإيجاد

الضحية.

وقد تحدث لنا عن مقاصد (هيومان رايتس هوج) وهي ممثلة في نقتطين رئيسيتين:

الأولى: كيفية قتل الضحايا.

الثانية: إيجاد ومعرفة أسماء الضحايا.

وقد تحدثنا مع السيد بيتر في عدة مسائل، تحدثنا عن برنامج واسع في المحافظة على المقابر الجماعية والتنقيب والمحافظة عليها. تحدثنا عن دور كل من أمريكا وبريطانيا في المساعدة وجمع المعلومات. وقد كان (بيتر) متأثراً جداً بمصائبنا وألمنا حاله حال (آن كلود) وتمنى عدم تكرار تلك الكوارث.

٣. عبدالرحيم فيلي: عبدالرحيم عبدالكريم احمد من مواليد ١٩٥٠ خريج كلية العلوم السياسية سنة ١٩٧٢ رجل نشط ومتحرك.. كان مهموماً بمقابر الفيليين الجماعية وكان عضواً في عدة لجان خاصة بالكرد الفيليين وهو عضو فعال. حيث نظم الجماهير في مظاهرات لمعرفة مصير الكرد الفيليين كان مع عدد من أقرانه يحملون أكياساً من الوثائق ضد النظام حول الكرد الفيليين ومصيرهم .

وقد كان منزعاً لوصول أعداد من عناصر البعث السابق في أحزاب جديدة إلى مراكز حساسة من تلك الأحزاب ، انها نفس حالة كردستان العراق سنة ١٩٩١ والأستاذ عبدالرحيم أبدى استعداده معنا أينما نذهب وكان لا يعرف معنى التعب والكلل.

وقد عرفني بمجموعة من الكرد الفيليين المعذبين في سجون النظام وكان من فقد كل أبناء عمومته وفيهم من لم ينج من عائلته أحد.. وفيهم من تمت مصادرة دارين من أملاكه. في الحقيقة عانى الكرد الفيليون في بغداد كثيراً من ظلم النظام البعثي وهنا لا نستطيع ان نوفهم حقوقهم في عدة كلمات من هذا الكتاب.

الأكراد الفيليون في العراق يقطنون (بغداد، رصافة، بعقوبة، شاربان، هزليات، جلولة، خانقين، مندلي، نطفخانة، هزانيا، بدرة، جسان، كوت، حي، علي الغربي) ومناطق متفرقة أخرى تمت مصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة بتهمة التبعية الإيرانية ... وقاموا بترحيلهم على وجبات إلى إيران وحسب إحصائية لدي تم ترحيلهم

في سنوات ١٩٨٠ - ١٩٨١ - ١٩٨٢ بالشكل الآتي:

التاريخ	عدد المرحلين
١٩٨٠ / ٧ / ٢٢	٤٠٨٨
١٩٨١ / ٣ / ٤	١٢٤٠
١٩٨٢ / ١ / ٢٩	٣٠٥٨
١٩٨٢ / ١ / ٣٠	٢٨٣٢
١٩٨٢ / ٣ / ٤	٨٠٨٤
١٩٨٢ / ٣ / ٧	٢٤٧٠
١٩٨٢ / ٦ / ٣	١٠٠

يقول السيد عبدالرحيم (تم ترحيل ١٨٣٤) عائلة من بغداد فقط أما في كل العراق فقد تم ترحيل (٨٥) الف عائلة فيهم سبعة آلاف شاب تم اعتقالهم ثم سوفهم إلى سجون أبي غريب ونقرة السلمان. ومازال خمسة آلاف منهم مجهولي المصير إلى يومنا هذا وفي احصائية إيران سنة ١٩٨٢ بلغ عدد المرحلين الفيليين ٦٥ ألف شخص وتحدث لنا عبدالرحيم عن وجود ألفي دار تمت مصادرتها في بغداد تعود للکرد الفيليين وصودرت من قبل البعثيين ومازالوا يشغلونها. بالإضافة إلى المطاعم والدكاكين والمخازن... الخ ويقول الأستاذ عبدالرحيم: (لولا سياسة البعث الرعناء تجاه الفيليين الكرد لكان أكثر من ٨٠٪ من اقتصاد بغداد اليوم بأيدي الفيليين).

وللأسف بعد مدة من الزمن تأكدت من أن هذا الرجل خرج عن جادة الصواب. وحمل طبيعة غريبة لا يمكن معالجتها.. أنها طبيعة الإنسان الشرقي.

٤. ماد: إنه رجل طويل، ذو همة عالية يعمل في البحرية الأمريكية.. وكلامه يدل على أنه كان قريباً من القصر. وقال لنا: (سأرسل هذه الصور إلى البيت الأبيض والرئيس بوش).

التقط عدة صور لضحايا المقابر الجماعية في (ظبي) وكان ينزعج من مشاهد ضحايا الأطفال لأنه كان يحب الأطفال كثيراً... وكان يكره صدام والبعث كثيراً.

قال لنا: أنا مستعد لتقديم جميع المساعدات لكم، وأول مرة في حياتي أشاهد قوماً مظلوماً مثل الكرد. ولا أستطيع التحدث إلى القنوات الاعلامية بسبب مهمني العسكرية. ولكن تأكدوا سأنقل مظلوميتكم إلى كل أصدقائي وعائلتي وأحدثهم عن تلکم المجازر التي نفذهها أكبر دكتاتور في العصر الحديث ضد الشعب الكردي المسكين.

وأنا متأكد عندما يعود (ماد) إلى بلاده سيحدثهم عن كل تلك المجازر والحقائق. وأنا متأكد أن (ماد) لا ينسى صورة تلك العجوز التي كانت تحمل في يدها حبوب علاجها في المقبرة الجماعية في (ظبي) وكانت مشدودة في كيس.

كان يقول (ماد): ما ذنب كل هؤلاء، يجب أن ينتقم الله لهؤلاء.

م. ثائر لبيب عزاوي: كان ثائر من بغداد ويحمل «ماجستير في الاعلام حسب قوله.... كان يعمل في راديو وهو اعلامي نشط. وكان يتمنى أن يكون معنا في زيارة كل المقابر الجماعية في الجنوب. وكان دائماً يحاول الحصول على سبق خبري . طول تواجدنا في بغداد كان يدلنا على مناطقها، وكان يستفيد من الأخطاء ليجذبك إليه.

تحدثنا كثيراً عن تفاصيل حياة العراقيين مع ثائر. وكان يعتقد بأنه من الممكن التعايش في ظل دولة ديمقراطية فدرالية. على الرغم من عدم معرفتنا بتاريخ الرجل إلا أنه كان يحب عمله كثيراً. ذهبنا مع ثائر إلى عدة مقابر جماعية. وكان يرغب أن نسير وفق رايه فقط. ونحن لم نرض بالعمل حسب هواه مما فرق بيننا. وتمنيت له دوام العمل الصحفي ونحن استفدنا من كل أولئك الذين عملوا معنا في الجنوب والوسط في ايجاد رفاة الضحايا الكرد وكان ثائر واحد من هؤلاء. ووجدت ضرورة التحدث عن ثائر وآخرين منهم اسماعيل علي قادر وعدنان، حيث كانوا معنا ليلاً ونهاراً.

واسماعيل يقطن مدينة شورش في جمجمال وقد قدم لي عدة مساعدات يمكن التطرق إليها في مرات قادمة .

وفاة دلير

(دلير علي) طالب في الصف السادس الاعدادي واحد أولئك الطلبة الذين يرغبون في خدمة المجمع القسري (شورش) الذي كان عبارة عن جهنم ثانية لذوي المؤنفلين، وكان دلير في مقتبل عمره ويحمل أمانى كثيرة، ولكن طلاقة هاوية في مشاجرة وقعت بين شخصين رمته في حفرة تدعى (قبر) وسأبقى نادماً لعدم حضوري مراسيم وفاته وأربعينيته كذلك. وذلك بسبب تواجدي في الجنوب أبحث عن رفاة ضحايا الكرد. وكان دائماً ينظم لي مكتبتي مع عدد من أصدقائه. ساعدني كثيراً في إيصال شكاوي أطفال المؤنفلين إلى الجهات الرسمية. وكان كادراً نشطاً في مجلة (بهج) التي تنتقد المسؤولين في القضاء.

ذهب مع عوائل المؤنفلين إلى بغداد بعد عدة أيام من سقوط النظام. وطلب في وسط العاصمة بغداد اعدام الطاغية صدام ونشد نشيد (نهى رفقيب) وأصدر أول عدد من مجلة ٤/١٤ والذي عوقب من أجلها. وكان يتحدث بطلاقة في مجلة ٤/١٤ وكان صديقاً خاصاً بالنسبة لي. وكان يزورني مع أصدقائه أغلب الليالي. وكنا نتحدث طوال الليل عن مشاكل المنطقة وهمومها.

وإثناء تواجدي في الجنوب للتنقيب عن الضحايا فقدت اثنين من أعزائي أحدهما (دلير) والثاني (والدي) أما والدي فهو مثل باقي المظلومين من الكرد. حيث قضى جل حياته دفاعاً عن قوميته الكردية وهو رجل خدم القضية الكردية كثيراً.. ولكن لم تخدمه القضية يوماً ما.

وكان أمل دلير هو فتح مركز للأنترنت في المنطقة لخدمة شباب ذوي المؤنفلين وبعد وفاة كل عزيز لا أجد سوى الدموع. وأرتاح كثيراً عند سكب تلك الدموع.. وكما أردت الابتعاد عن الهموم. بكيت بغزارة. ولم أستح يوماً من أولئك الذين يشاهدون دموع عيني.

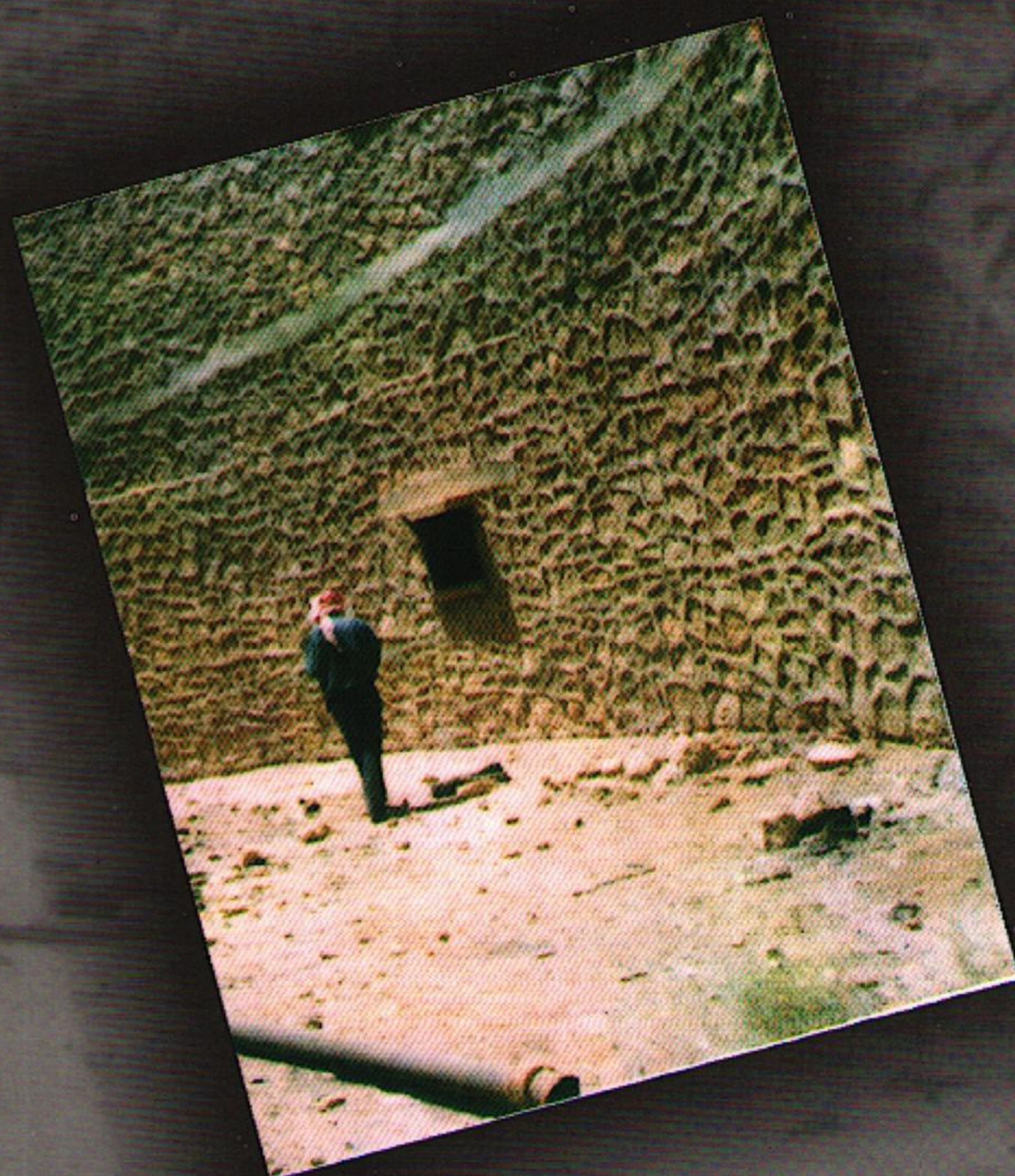
الفهرست

٧	تمهيد
٨	لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية للضحايا الكرد
١١	البحث عن الاحبة
١٥	الجنوب مناطق مدمرة
١٨	كوارث الكرد والشيعه
٢١	الجنوبيون ذوو العيون السود شاركوا الهموم
٢٥	البكاء على الرفاة
٢٧	عدد من الساعات في مقابر الحيدرية
٢٩	البسة الكرد المتلوفة
٣١	حزام البيشمرکه
٣٤	الصور المتبقية مع الشهداء
٣٧	السماعة صحف وتلفزيون الناس هنا
٤٠	سراويل اهالي السماعة كردية
٤١	عشيرة آل زياد
٤٣	العائلة الثانية لتيemor عبدالله
٤٦	عائلة تيمور واقرباؤه
٤٩	قصة تيمور
٥٢	الصحراء تبلى الجميع
٥٥	الوجه الآخر للصحراء
٥٧	قلعة السلطان قلعة موت الكرد

٦١	من السلطان الى المقابر الجماعية
٦٤	على جدران قلعة السلطان
٦٧	كلاب الصحراء السوداء
٦٩	ثورة الرمال
٧١	العويليون
٧٢	الصحراء مزرعة زهور النرجس
٧٤	مناطق جراحاتنا
٧٨	نهاية البداية الاولى
٨٠	رؤوس اقلام
٨٥	وفاة دلير

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.forumarabia.com



من مطبوعات دار سردم للطباعة و النشر

الغلاف: قادر ميرخان